الجزء الأول

عولمة الفجور

من مدام هيرس إلى الفيديو كَلْب!!

من الأفضل أن لا نسأل عن تفاصيل الذين قادوا الفجور في العالم. لأن الجواب قد يكون مفجعًا. فالداعرون الشهوانيون هم الذين قادوا معظم ثورات الإرهاب في العالم وهم اليوم أصحاب سطوة وقوة وهيمنة على العديد من مناطق النفوذ في العالم.. قصتان من تاريخ الثورتين الفرنسية والروسية كافيتان لربط الفجور بالسلطة: الدوق دورليان في فرنسا. والراهب راسبوتين في روسيا.

دورليان هو ابن عم ملك فرنسا والأستاذ الأعظم للماسونية الفرنسية والخطيب المشهور. وقع في الفخّ الإرهابي الماسوني. فحوّلوا قصره المشهور "الباليه رويال" إلى ماخور متطور لكل أصناف الدعارة والتهتك الجنسي. هذا الدوق وقع أيضًا في فخ الاستدانة فأصبح لعبة رخيصة بيد المرابين اليهود. فحجزوا أمواله وممتلكاته وحولوها لأكبر إمبراطورية ترفيه جنسي عرفها التاريخ الحديث. بعد السيطرة على دورليان. بواسطة الحسناء اليهودية "مدام هيرس" التي اشتهرت بفتنتها الطاغية في باريس آنذاك. قام الإرهابيون بفضح غراميات الملكة ماري أنطوانيت ملكة فرنسا وتضخيم الشائعات حول علاقاتها الجنسية المشبوهة مع كبار الشخصيات الفرنسية وبخاصة مع الكاردينال روهان. وهكذا

وصلت المقصلة الثورية إلى رقبة الملكة وزوجها، وإلى سمعة الكنيسة ورجالاتها.. وسقطت الملكة وقامت ثورة الفوضى والإرهاب التي حصدت ملايين الرقاب ومئات السنين من عمر فرنسا.

ذات الأسلوب الإرهابي، اتبع في روسيا. فقد اغتال الإرهابيون في مسرح كييف عام ١٩١١ رئيس الوزراء الروسي "ستوليبين" الذي اشتهر باستقامته ووطنيته وولائه للقيصر. ثم بدأ راسبوتين بالدخول إلى حياة القصور الروسية وإثقالها بالرذيلة والإباحية، مبتدءًا بزوجة الإمبراطور، التي أصبحت خاتمًا في إصبعه الصغير، مكملاً مسيرته إلى أشهر قصور روسيا، محولاً معظمها إلى مواخير تشبه الباليه رويال في فرنسا...

أجواء الثورة الفرنسية والقضاء على الملكية الفرنسية كانت مشابهة تمامًا لأجواء الثورة الروسية. وليس من الصعب تشبيه تلك الأجواء الإرهابية بأجواء الثورة الإنجليزية، فالأدوات واحدة والهدف الكوني هدف واحد، وهو إشاعة الفوضى العالمية والإفك وإحكام السيطرة الاقتصادية على العالم.

واليوم تعود الدعارة بأثواب جديدة تتناسب مع عولمة الفجور، وتعود أيضًا متسلحة بالسياسات الدولية، وقبل أن نطلق الأحكام علينا أن نعرف بعض التفاصيل من هذا الكتاب العجيب!!

عولمة الفجور
في معتقل أبو غريب العراقي

قد لا يتمكن القلم من وصف أغرب حملة دعارة سياسية وعسكرية عرفها العصر الحديث. ولكن الصور والشهادات الحيّة قد تتمكن من ذلك... تقول إيمان خماس مديرة المنظمة الدولية لرصد الاحتلال: روت لي معتقلة سابقة في سجن أبو غريب كيف تعرّضت وزميلتها للاغتصاب الوحشي المتكرر. أعادوا زميلتي إلى الزنزانة مغمى عليها، بقيت فاقدة الوعي ليومين. وروت لي كيف اغتصبها الجنود ١٧ مرّة في يوم واحد.

قال محمد دهام المحمد رئيس اتحاد الأسرى والسجناء في العراق: سُجّلت لدينا شهادة سيدة ساعدت شقيقتها على الانتحار بعد أن اغتصبها جنود أمريكيون عدّة مرات أمام زوجها في سجن أبو غريب. قالت الضحية: داهمت القوات الأمريكية منزل شقيقتي في بغداد لإلقاء القبض على زوجها وعندما لم تجده اعتقلتها. عندما عاد صهري وسلّم نفسه للأمريكيين، أبقاها الأمريكان لأسباب جنسية رهن الاعتقال. وينقل المحمد عن السيدة قول شقيقتها: "اقتادوني إلى زنزانة ورأيت زوجي مقيد إلى القضبان. شدّني جندي أمريكي لأرفع رأسي وأنظر إليه فيما كان يخلع عني

ملابسي بشكل وحشي... أخبرتني كيف اغتصبها الجنود الأمريكان مرات عدة أمام زوجها المقيّد الذي كان كالثور الهائج يردد أحيانًا: الله أكبر الله أكبر. وتكمل: توسلت شقيقتي لأساعدها على الانتحار فكيف لها أن تواجه زوجها بعد الإجرام الذي حصل؟!

يقول سجين سابق في أبو غريب التاريخي الهام في تاريخ عولمة الفجور: في ٢٠٠٤/٥/١٣، رأيت السجينات يعبرن أمام خيم الرجال وكن يتوسلن السجناء أن يجدوا طريقة لقتلهنّ لإنقاذهن من العار. يقول عامر أبو دريد. وهو سجين سابق: عرفت إحداهن وهي من أسرة محافظة ولها ثلاثة أطفال. في الخامسة والثلاثين من عمرها. أمضت أسابيع وهي تغتصب. وعندما أطلقوا سراحها قتلها شقيقها فور الإفراج عنها غسلاً للعار.

تقول إيمان خماس: روت لي أستاذة اقتصاد في جامعة بغداد كيف تم اغتصابها أمام عدد كبير من السجناء العراقيين في أبو غريب. كما قتلت العائلات ثلاث شابات من منطقة الأنبار فور الإفراج عنهن وهن حوامل. وقد روت وكالة الصحافة الفرنسية عن شهود عيان العديد من المآسي التي لا يجدر بالقارئ أن يقرأها. فهي تصف وصفًا دقيقًا عولمة الفجور بالقيادة الأمريكية الجديدة في العراق.

تروي هدى النعيمي الناشطة في مجال حقوق الإنسان في العراق كيف تصرّف الشاب مع أخته السجينة السابقة التي خرجت من المعتقل وهي حامل. وقالت بأن خطة الأمريكان في معتقل أبو غريب كانت تعتمد على استخدام النساء كموضوع للتعذيب والتلهي وكأداة لتعذيب الرجال...

يقول شاهد عيان كان يعمل مترجمًا لدى القوات الأمريكية: كان الجنود يأتون إلى البيوت العراقية بعد منتصف الليل. يدمّرون

الأبواب. يقتحمون المنازل ويسرقون الأشياء الثمينة ثم يقتادون النساء من أعمار معينة... وعن الأساليب التي تتبعها قوات الاحتلال مع المعتقلين داخل المعتقل، يشير المترجم إلى بعضها مثل نزع الملابس كليًا عن المعتقلين وربطهم إلى الأبواب بالسلاسل الحديدية، منعهم من النوم بواسطة الموسيقى الصاخبة والصراخ المتعمد والاستجواب القذر وسكب الماء البارد عليهم، الدوس بالأحذية على الرأس والجسم، الضرب باليد والعصى، الصعق الكهربائي، كما يتم إغراق المعتقل بالماء ويتم إجبار المعتقلين على الاستلقاء عراة على الأرض لوقت طويل إضافة لاستخدام الكلاب والصراخ والتخويف... أما عن الفجور فقال بأن الجنود الأمريكان يدركون جيدًا ضعف الإنسان العراقي إزاء شرفه، فكانوا يجبرون المعتقلين بعد تعريضهم للتعذيب على ممارسة الجنس فيما بينهم، وترغم المجندات الأمريكيات المعتقلين على ممارسة الجنس معهن وهم مقيدون وخصوصًا المتدينين منهم، كما يقوم الجنود بتعرية المعتقلين من شيوخ العشائر ورجال الدين وكبار السن من ملابسهم ويجبروهم على ارتداء ملابس النساء إمعانًا في السخرية من العادات والتقاليد العراقية....

قال معتقل بأن مجندة أمريكية أجبرته على التعري وهو مغطى الرأس ثم سحبته إلى قاعة ثم رفعت الكيس عنه فإذا به وسط قاعة للسجينات العراقيات، أما بقية الرواية فلا يمكن وصفها هنا (!!).

قال معتقل سابق: كانوا يقيدون المعتقلين بالسلاسل ويضعونهم في أقفاص الحيوانات وبالتوابيت، ويُجبر المعتقل على البقاء واقفًا لأيام دون نوم أو جلوس أو راحة. ويوضع البعض من المعتقلين في صناديق القمامة لأيام. قال معتقل سابق في أبو

غريب: جنود الاحتلال اغتصبوا فتاة أمام والدها. وقد ذكرت وكالة رويترز تفاصيل ذلك في ٢٠٠٤/٥/١٨. ويتذكر المعتقل أن جنديًا أمريكيًا تبول عليه أكثر من مرّة وكان يتحدى العراق والله بكلمات كبيرة (!!).

روى سجين عراقي اسمه صالح، ظهر في صور التعذيب الموثقة التي بثت عالميًا، أن الجندة ليندي انجلاند كانت تُعريهم ثم تلهو بمنظرهم وبأعضائهم الجنسية والسيجارة في فمها. ويروي صالح قصة دامية عن مراحل اغتصاب الجنود الأمريكان لفتاة عراقية لا يتجاوز عمرها ١٦ عامًا، ومما رواه صالح أن جنديًا أمريكيًا اغتصب الفتاة أمام والدها المقيد إلى القضبان كالحيوانات (!!).

يقول معتقل عراقي شاب كان على وشك الزواج وقبضت عليه القوات الأمريكية واقتيد إلى أبو غريب، وبعد أن عانى الأمرّين وفقد رجولته(!!) قرر عدم الزواج بحياته، وقال: نزعوا عني رجولتي، أنا ميت . حياتي انتهت.

عشرات العشرات من بنات ونساء العراق تعرضن للعهر الأمريكي، عشرات النساء الحوامل من الجنود المجرمين، عشرات الفتيات أصبن بالصدمة، تحولن إلى معوقات والمشكلة الكبرى أنهن لا يقدرن على البوح والوصف، فالأمر يتعلق بالشرف الذي جاءت الولايات المتحدة الأمريكية إلى العراق لتلويثه...

يقول معتقل سابق: سأحارب الأمريكان حتى آخر رمق في حياتي وسأوصي أبنائي بذلك، فليس أمامنا سوى القتال وليس للدم سوى الدم!!

«تفو»

صرّح متحدث رسمي بالبنتاجون يوم ٢٠٠٤/٥/١٠ "أن هناك ١٢٠٠ صورة لإهانات وقعت في معتقل أبو غريب لم يتم نشرها بعد. وتشمل تصرفات غير لائقة ذات طبيعة جنسية".

كشفت أجهزة استخباراتية أوروبية أن عمليات التعذيب التي تسربت صورها من سجن أبو غريب ببغداد يحدث مثلها وأبشع منها في عشرات سجون ومعتقلات أمريكية بالعراق. وعلى رأسها معسكر "كروبر" الواقع بالقرب من مطار بغداد. حيث يتميز هذا المعسكر باغتصاب المعتقلات العراقيات فيه لإجبارهن أو إجبار ذويهم على كشف أسرار المقاومة العراقية وأسرار الحكم العراقي السابق.

تشير التقارير الاستخباراتية إلى أن الجيش الأمريكي يعتمد بسياسته العليا على إهانة الشعب العراقي وكسر شوكته وكبريائه طريقًا لحكمه الطويل الأمد. وأشارت كذلك إلى أن الممارسات الوحشية في المعتقلات الأمريكية الكثيرة في العراق تتنافى مع أبسط القوانين الإنسانية التي تتشدق بها الإدارة الأمريكية وتعتبرها أساسًا للإمبراطورية الأمريكية القادمة.

تَعَوَّدَ اللبنانيون على التعبير عن قرفهم الشديد بكلمة "تفو" وتعني "تفو"!!

القادمات من سماء المتعة!!

فارعة الطول، حادة القسمات، إنجليزية الأصل، ولكنها عالمية بقدر عولمة الدعارة، تتكلم إضافة إلى لغتها الأصلية، الفرنسية والإيطالية والألمانية وبعض العربية، ولذلك فهي تجند النساء من كل الجنسيات تقريبًا وتقدم خدماتهن للأثرياء في العالم، منطلقة من منتجع سان تروبيه على الشاطئ اللازوردي الفرنسي، متوقفة عند الحاجة في الريفييرا الإيطالية والقصور العربية الحمراء في ملقه ومارابيا الإسبانية، وهي تحتاج عادة إلى بعض الاستراحات في اليونان وبخاصة في جزيرة موكدونوس لقرب اليونان من العربان ومن الشبق الصهيوني أيضًا!!.

أسست مارغريت ماكدونالد شركة عالمية ضخمة، متخصصة "بخدمات المرافقة الأوروبية" ومن خصائص نشاطاتها، تقديم الجميلات لمرافقة رجال الأعمال والأغنياء وأصحاب المراكز السياسية والفكرية والثقافية والحزبية في كل تنقلاتهم، بما فيها غرف النوم وصالات الاحتفالات وقاعات الاجتماعات، مقابل ٥٠٠ دولار للساعة الواحدة، بشرط عدم ممارسة الجنس مع الزبائن، هكذا قالت مارغريت للقضاء الفرنسي عن أساليبها في السيطرة على الشخصيات المهمة في العالم عبر الثقوب الناعمة النازفة.

حجم شركة ماكدونالد، يصل إلى حجم الشهوة العالمية، وشركة خدمات المرافقة تضم معظم الجنسيات دون تفريق بين

البيضاء الروسية أو الشقراء السويسرية أو السوداء الإفريقية مرورًا بالحنطية العربية واليهوديات من كل الألوان والأشكال.

من خصائص قيادة شركة بهذا الحجم والتأثير، أن تكون عالمية وذكية، وتستفيد من قوانين حماية الدعارة في العالم. ويجدر الذكر، بهذه المناسبة، أن معظم قوانين العالم توفر حماية غير مباشرة لأقدم مهنة في العالم، بل وتنظمها وتدفع لها وعليها المليارات سنويًا. ومن خصائص قيادة مثل هذه الشركات أن تكون مرتبطة بامرأة ذكية ذات صلاة بالقادة في العالم، ومتخصصة بالتسويق والإدارة والعلاقات العالمية، والدعارة جزء من هذا كله.

خلال جلسات المحاكمة بهرت ماكدونالد رئيسة المحكمة الفرنسية والمحلفين وجمهور الحضور من صحفيين ورجال أعمال وزبائن سابقين، فهي رقيقة جدًا وعولمية جدًا وتمتلك سجلاً كبيرًا للعديد من أغنياء العالم مع التركيز على بعض الشخصيات العربية، التي قالت بأنها ستبوح بأسمائها عند الضرورة. وهي بكل أدب تقول أن هدفها لم يكن الدعارة.. وإنما هدف إنساني يتمحور حول كسر جدار الوحدة التي يُعاني منها رجال الأعمال في تنقلاتهم.

تُعلن ماكدونالد عن خدماتها الإنسانية في كبريات صحف ومجلات العالم وبخاصة في "الإنترناشيونال هيرالد تريبيون" الأمريكية التي تصدر في باريس. ولها معاونين ومعاونات في معظم العواصم العالمية. وهي على ما يبدو، النسخة الجديدة لمدام كلود الفرنسية التي اشتهرت في السبعينات بإدارتها لشبكة عالمية للدعارة انطلاقًا من باريس.

من المفيد جدًا، وللتاريخ فقط، الإشارة أن ماكدونالد من المناضلات العالميات، فقد كانت ناشطة لسنوات في الوكالة الدولية للاجئين في نيكاراغوا بالسلفادور، وكانت تطالب بالعدالة للنساء في أمريكا الجنوبية وربما تصبح ذات يوم رئيسة لإحدى دول العالم في النظام العالمي الجديد.. مبروك لنا جميعًا!!

أرداف السبايا!!

أكثر من مليون امرأة تتعرض كل يوم لتجارة البغاء الدولية. وعدد البغايا يزداد سنويًا عبر العصابات المتخصصة التي تمتهن خطف النساء والأطفال وتدريبهم وإجبارهن على الممارسات الشاذة. ومن الجدير بالذكر أن عدد النساء المخطوفات لأغراض البغاء يرتفع بنسبة ١٥٪ سنويًا وأن عام ٢٠٠٥ يحول قضية البغاء إلى خطر عالمي يهدد العالم أجمع...

البغاء هو الصورة الجديدة للعبودية: ففي الزمن الماضي أقام الأوروبيون ثم الأمريكيون، زراعتهم وصناعتهم ونموهم العمراني على سواعد وأجساد ودماء وكرامة الأفارقة. وعندما حلّت الآلة محل العضلات حرر المستَعْبِدون المستَعْبَدين السو . ولجأوا فورًا إلى شكل آخر من العبودية المتمثل بتجارة الرقيق الأبيض.

تقول (أولغا) وهي نموذج من المومسات اللواتي تيسر لهن الكلام أمام الكونغرس الأمريكي: "أنا من سيبيريا. أخذت إلى إسرائيل بالخديعة وقوة الإغراء وأرغمت على ممارسة البغاء بعد أن وُعدت بالجنة... كان علي أن أعمل ستة أيام في الأسبوع واثنتي عشرة ساعة في اليوم وكان عليّ أن أقدم الخدمات إلى ٣٢-٣٥ زبونًا في اليوم...". هذه واحدة من ضمن شبكة الدعارة العالمية، التي تدير مليون امرأة يوميًا وتحوّل المجتمع الإنساني إلى مجتمع حيواني

يفترس القادر فيه الضعيف ويتجه به نحو الهوى والمتعة، التي تمر بلحظة وتبقي آلام الساعات... والمؤلم في هذا الأمر أن القوانين الوضعية في العديد من دول العالم وبخاصة في أوروبا وفي الأمريكتين، تطارد المستعبدين وتشجع المستعبدين، وهي تُطور أنظمة اللهو بحيث توفر تدريجيًا مناخًا واقعيًا للدعارة، بينما تدّعي أنها تحارب هذه الظاهرة التي تكاد تميز المجتمعات المتعولمة وتلوثها بالآثار المباشرة وغير المباشرة لهذه التسهيلات المستترة، ومنها المنتجعات السياحية والكازينوهات. وكذلك الإعلام الذي يستخدم المرأة كسلعة رخيصة مبتذلة، وبخاصة الإعلام الأمريكي المرئي الذي يجتاح فضاء العالم وعقول العالم أيضًا...

هذه الدعارة التي أصبحت ميزة عصرية، تُخلّف حوالي ١٥٠ مليون حالة التهاب وعدوى جنسية سنويًا على المستوى العالمي، مما يعني أن شخصًا واحدًا على الأقل يصاب بمرض جنسي من كل أربعة آلاف إنسان يعيش على وجه الأرض. وتتراوح هذه الأمراض من السيلان إلى السفلس والهربس والمتدثرة الرئوية والإيدز. وهي، أي الدعارة، تنخر في النفوس والأبدان، وتحولهما تدريجيًا إلى نفوس تستسهل الدعارة والسقوط، والى أبدان تستبطن الميكروبات وتفاعلات العدوى، مما يُبشّر، بمزيد الأسف، بتكوين اجتماعي ساقط "يُذهب البهاء عن الوجه، ويقطع الرزق، ويُغضب الرحمن، ويسبب الخلود في النار" كما جاء في الأثر النبوي الشريف.

ومن مميزات هذا التكوين الاجتماعي الساقط: استسهال الرذيلة، بل وتشريعها تحت مسميات الحرية الشخصية، والحاجة البيولوجية، وهي من ظواهر التقدم والتحضر.. وكذلك إثبات قوة الشخصية، وإباحة الفعل الذي يحلو للإنسان الاستمتاع به. ومن المؤلم في هذه المسميات، أنها هي ذاتها التي أسقطت المجتمعات

قديمًا وحديثًا. وهي ذاتها التي تشجعها بعض الأنظمة وتشكو منها في آن معًا. والتي تقدمها كشكل حضاري ثم تدفع المليارات لمكافحتها. وخير مثال على هذا التناقض انتشار وباء الإيدز الذي يهدد البشرية جملة وتفصيلاً. والذي يجتاح حصون نصف بالألف على الأقل من كل الستة مليارات إنسان على وجه الأرض.

في هذا التكوين الاجتماعي الساقط يُمارس الجنس قبل الزواج، كتقليد "تقدمي". ففي أستراليا يمارس هذا السقوط الاجتماعي ٥٨ بالمئة من الذكور و٤٧ بالمئة من الإناث. بينما ترتفع النسبة في نيجيريا إلى ٦٨ بالمئة من الذكور و٤٣ بالمئة من الإناث. وحدّث ولا حرج عن إسرائيل التي تصدّر هذا السقوط بأشكاله المختلفة إلى العالم تحت المسميات البراقة والألوان الزاهية. ومن المؤسف أننا نقرأ عن نتائج هذا السقوط. ونعرف تمام المعرفة أبعاده. إلا أن الأنظمة المادية. تساهم في بقائه وانتشاره وتمكينه. مثل هذه الأنظمة. لا ترغب إلا في حياة السقوط. رغم الادعاءات الظاهرية. ويكفي أن نعلم أن حوالى ١٧ بالمئة من كل مئة ألف سلفادوري مراهق ينتحرون سنويًا بعد شعورهم بالخيبة وبعد تعرّضهم لمآسي الممارسات الجنسية الساقطة. والنسبة هذه ليست بعيدة عن الرقم الخيالي في إسرائيل وأمريكا والنمسا وسويسرا واليابان. بل وفي بعض البلاد العربية.

أما بالنسبة لدعارة الأطفال فالكارثة أكبر والطامة أكبر. لأن أبحاث المؤتمر الدولي لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال والفتيان. أشارت إلى أن من بين ١٢ مليونًا من الأطفال والفتيان في ألمانيا فقط يتعرّض حوالى ٣٠٠ ألف للاعتداء الجنسي. وأن عدد الفاصرات اللائي يُجبرن على ممارسة البَغاء في تايلاند يُقدر بحوالي ٨٠٠ ألف. وفي الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٣٠٠ ألف!!.

في أجواء هذه الأرقام، نسمع هذه الأيام، أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، أصدرت تقريرًا أحمر عن تعاظم هذه المأساة، وترى الوكالة، ضرورة لإصدار قوانين صارمة للحد منها، وبالفعل نشأ في أمريكا، بنك جديد للمعلومات حول البغاء بأشكاله المختلفة، وترأسه (لاورا ليديرير) الأستاذة في جامعة هارفارد، وهدفه الحدّ من البغاء، ظاهرة العولمة الجديدة...

تُرى هل يرغب العالم حقًا بالحدّ من الدعارة بأشكالها؟ إذا كان كذلك فليبدأ بالتحول التدريجي من المادية المطلقة إلى الاتزان، ومن أساسياته بناء الأسرة على أساس خُلقي يعتبر الزنا جريمة (وهو الآن مباح، بل وتُشجع عليه الحضارة المتعولمة)، وأن تعتبر هذه "الحضارة" الممارسات الشاذة جريمة (وهي الآن من ضمن الحريات الشخصية)، وأن يعتبر الإجهاض جريمة (وهو الآن إجراء لتسهيل الدعارة)، وأن تعتبر ممارسة الجنس قبل الزواج جريمة.. إضافة إلى سَنّ القوانين الكفيلة بحماية الأسرة من وسائل الإعلام الممهدة للدعارة والداعية لها، وحماية الأسرة من التشرد والبطالة والفقر والتسكع والمخدرات والمسكرات... وباختصار تقنين حماية الأسرة من المؤثرات السلبية المؤدية إلى الدعارة، وكأني بهذا التوجه أدعو العالم للعودة إلى الدين وإلى الأخلاق الكريمة وإلى سلطة الأبوين وإلى الالتزام الأخلاقي... وسيلة لإعادة المجتمع إلى النقاء الذي يفقده الآن في هيجة العولمة، والآلة والتقدم.

عندما يتذكر العالم مصير "سادوم" و"عامورة" وكيف أحرقهما الله بالنار والكبريت وجعل عاليهما سافلهما، وعندما يتذكر العالم قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾ (الإسراء: ١٦)، وعندما يتذكر العالم أن المتعة طاقة لا بد من توجيهها في الحلال.... عندها فقط نصبح على أول الطريق للحد من عولمة الدعارة، ونحدّ بذلك

من عدد المصابين بالأمراض الجنسية والنفسية والبدنية، ونحدّ من الانحدار نحو الهاوية....

لقد صُدم العالم بنتائج الثورة الجنسية في الستينات، فأقلع عن بعض ممارساتها الشاذة، ولكنه اتجه في اتجاه آخر، لا يقل خطرًا عن اتجاه تلك الثورة الجنسية، وهو اتجاه لتبرير الرذيلة واعتمادها وسيلة لتقوية الاقتصاد (الوطني)، وذلك عبر الإعلام اللاأخلاقي، وعبر التشر ت اللاأخلاقية، التي برّرت الدعارة تحت غطاء الحرية وضرورات التقدم، وعبر هدم الأسرة ونشر الأفعال الحيوانية في المجتمع الانساني؟![1]

(1) رئيس دولة سابق يدفع مليون دولار ثمنًا لقضاء ليلة حمراء مع ممثلة مشهورة. راقصة تتحول إلى هرم. مغنية بصوت نازف تصبح أسطورة. وزير يُمثل بلاده على سرير هزّاز. الرئيس الأمريكي السابق كلينتون يشرح قصة غرامه بالمتدربة مونيكا!!

زقاق الدعارة العالمي!!

كشف تقرير لوكالات الأنباء العالمية عن تناقص عدد سكان القارة الأوروبية، والحاجة إلى فتح سوق جديدة للاتجار في البشر من خلال تهجيرهم بطرق غير مشروعة إلى الدول المتقدمة. وقال التقرير أن هذه الجريمة، أصبحت مصدرًا لأرباح تقدر بملايين الدولارات في ألبانيا وحدها سنويًا، وهو ما يجعلها في موقع منافس لجرائم تهريب المخدرات والأسلحة. وأضافت أن المهاجر الواحد يدفع ٥٠٠ دولار، وربما حياته في أحيان أخرى لتحقيق حلمه في الهجرة. وتستقدم العصابات آلاف الشباب والفتيات سنويًا من أوروبا الشرقية والصين ونيجيريا وشمال أفريقيا بدعوى العمل، أما الفتيات فيتم استغلال بعضهن في أعمال الدعارة.

لقد تبيّن أن حجم التجارة العالمية في مجال استغلال الأطفال في السياحة لا يقل عن خمسة مليارات دولار سنويًا، ويقول صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة أنه يصعب تحديد عدد الأطفال الذين يجري استغلالهم في هذا المجال القذر، ولكن المرجح أن مليون طفل وطفلة يدخلون هذا النشاط كل عام، وأن أغلبيتهم العظمى من شرق آسيا.

ففي تايلاند يوجد مليون طفل وطفلة يمارسون البغاء، وهناك حوالي ٧ آلاف بغيّ يتنقلن سنويًا من نيبال إلى الهند للغرض

ذاته. وفي سريلانكا ما لا يقل عن ٣٠ ألفًا يمارسون البغاء نصفهم من الذكور، فضلاً عن عشرات الآلاف في الفيلبين. ويندرج تحت مفهوم (الطفل) في هذه الحالات كل ذكر أو أنثى يقل عمره عن ١٨ عامًا. وفي نيروبي عاصمة كينيا، ينتشر في الشوارع عشرات الآلاف من الأطفال الذين يمارسون الدعارة.

وتقول إحدى المسؤولات عن برامج المكافحة في نيروبي: إن الأطفال يبدؤون بالدعارة مع عصابات الشوارع، حيث يجبرهم الأكبر منهم سنًا على ممارسة الرذيلة معهم، ويكون ذلك هو تأشيرة السماح لهم بالانضمام إليهم ليوفروا لهم الحماية اللازمة. وبذلك يشرعون بالعمل مقابل نقود.

في "بوغاتا" عاصمة "كولومبيا" كشفت دراسة أجريت في غرفة التجارة هناك، أن دعارة البنات بين سن ٨ و١٣ عامًا زادت بنسبة ٥٠٠٪.

تعتبر منطقة البحر الكاريبي وجمهورية الدومينيكان إحدى البؤر التي يزدهر فيها هذا العمل سواء عن طريق تصدير الفتيات الصغيرات إلى أوروبا وغيرها، أو عن طريق استقبال السائحين الراغبين بذلك.

وفي البرازيل غدت دعارة الأطفال بصورها الفاضحة والعلنية، أشهر من أن تخفى على أحد، وفي دول كثيرة من العالم بما فيها غرب أوروبا تمتلئ الصحف... وأقسام البوليس ببلاغات عن أطفال مفقودين لا تعلم أسرهم عنهم شيئًا.

في شرق أوروبا ازدهرت وراجت دعارة الأطفال بسبب تدهور أحوالها الاقتصادية والاجتماعية، إثر انهيار النظم الشيوعية.

تقول إحدى الدراسات إن بولندا، وأوكرانا، والمجر، والتشيك، ورومانيا، وربما روسيا كلها أصبحت مصدرًا لهذا النشاط. ووصلت الحال إلى

أن أطفالاً لا تتجاوز أعمارهم ١٣ عامًا يتدفقون على برلين من كل أنحاء شرق أوروبا للغرض ذاته بعضهم وصل هربًا من العوز والفقر المدقع، وبعضهم وصل هربًا من الحرب في البوسنة... فينتهي بهم المطاف في مواخير برلين الشرقية القديمة. أما الأطفال فيبيعون أنفسهم جهارًا عند محطة قطار حديقة الحيوان.

يقول مسؤول المجلس الأوروبي، عن مكافحة استغلال الأطفال في الدعارة من مكتبه الكائن في "ستراسبورغ" في فرنسا: يوجد "شريط من الأرض على امتداد الحدود التشيكية الألمانية بطول ٦٠ كم يطلق عليه الأهالي اسم "زقاق الدعارة". وهناك بنت واحدة على الأقل كل مترين توجد على طول هذا الزقاق".

وفي إحصائية حديثة ورد أن ٣٣٪ من الأطفال المتورطين في الدعارة ذكورًا وإناثًا في جنوب شرق آسيا أعطوا نتائج إيجابية لإصابتهم بفيروس الإيدز. وقالت تلك الإحصائية إن البنت التي يتراوح عمرها بين ١٥ و١٩ عامًا في دولة زامبيا بأفريقيا أكثر عرضة للإيدز ١٧ مرة من الصبي الذي يماثلها العمر.

ومن بين الاعتداءات الفاضحة التي نبهت العالم للخطر المحدق قضية "دوترو" البلجيكي، حيث قام هذا الشخص المأفون مع عدد من شركائه البلجيك باغتصاب وقتل الطفلتين القاصرتين "ميليسيا روسو"، و"جولي لوجين" اللتين لا يتجاوز عمرهما الثمان سنوات، وكذلك اختطافهم الطفلتين "مارشال"، و"إيفيجي" وتهريبهما إلى عاصمة إحدى دول أوروبا الشرقية وإجبارهما على العمل في تجارة الجنس لحساب إحدى العصابات الدولية.

وكذلك قضية الزوجين البريطانيين "فريدريك وروز ماري ويست" اللذان اغتصبا وعذبا وقتلا دزينة من الفتيات الطفلات والقاصرات اللائي تتراوح أعمارهن بين ٨ و٢٠ عامًا.

والقارئ يذكر ولا شك قضية الطفلة الأمريكية (ميغان كانكا) ٧ سنوات، التي اختطفت واغتصبت وقتلت في نيوجرسي وأدت مأساتها، إلى استصدار "قانون ميغان" الاتحادي الأمريكي، الذي يقضي من ضمن ما يقضي به التشهير فيمن يسميهم العلم "المهووسون بممارسة الجنس مع الأطفال" وكشفهم أمام مجتمعاتهم وأمام الرأي العام.

زقاق الدعارة يمرّ أيضًا بإسرائيل وتفاصيله مذكورة في التقرير الخاص الذي أصدرته في أواخر ٢٠٠٣ جمعية حقوقية ونسوية إسرائيلية تحت عنوان "تجارة النساء في إسرائيل". للتفاصيل يُرجى العودة إلى مجلة المجلة العدد ١٢٣٠.

لمدينة إيلات الإسرائيلية شهرة ضخمة في الدعارة ولها في التاريخ شهرة أيضًا، و"إيلات" هي الفاتنة التي أغوت هاروت، وهكذا يعود لنا التاريخ في مضائق زقاق الدعارة العالمي...

عصابات الأبدان الفضة

يجمع المشرفون على الهيئات والمنظمات الرسمية والخاصة التي تهتم بالطفولة على أن اللوم يقع على جميع الدول، وليس على دولة دون أخرى. لكن هناك مدن دون أخرى تزدهر فيها ظواهر التجارة بالأطفال، واستغلالهم عن طريق عصابات منظمة. فمن بانكوك إلى بومباي إلى قرطاجة ومانيلا وموسكو وبراغ فضلاً عن بودابست وبوخارست وحتى نيويورك ولندن وباريس... تتوالى فيها حوادث خطف الأطفال وإكراههم على ممارسة الجنس أو بيعهم للعصابات المختصة.

لقد أثبتت الدراسات في هذا الشأن أنه لا توجد طفلة أو طفل دخل هذا المجال بإرادته. وإنما لأسباب عديدة منها: مشكلة الفقر واضطراب الأحوال العائلية: فالبعض من هؤلاء الأطفال المشردين هربوا من بيوتهم نتيجة لاضطراب أحوالهم العائلية الناجم عن العوز الشديد والفقر المدقع. فالأطفال الفقراء تسهل غوايتهم بأشياء تافهة جدًا مثل قرط أو سوار مزيف. أو حتى قلم حبر أو ولاعة سجائر. لأن الدولار الواحد. يعتبر ثروة ضخمة لطفل أو طفلة فقيرة.

يقول مسؤول في إحدى منظمات مكافحة دعارة الأطفال في مانيلا: أن الآباء الذين يبيعون أولادهم يقولون إنهم يفعلون ذلك

لأنهم فقراء، والكثيرون منهم تكون هذه أول مرة يمتلكون فيها مروحة كهربائية أو تلفزيونًا.

في أغلب عواصم دول جنوب شرق آسيا ركزت الأضواء على مسألة الفقر والأجور الرخيصة والعوز، فضلاً عن غياب القوانين الرادعة، كل ذلك دفع لازدهار دعارة الأطفال.

في وارسو وبراغ وبوخارست تنامت ظاهرة بغاء الأطفال بسبب تفاقم الفقر والعوز، لأن القوانين في تلك الدول، معظمها يسمح لكل من بلغ الرابعة عشرة من عمره، بإقامة علاقات جنسية حرة.

السياحة من الأسباب الرئيسية التي تعقّد المشكلة، حيث تقوم الدول الغربية بتوفير الزبائن لهذه التجارة المحرمة، وذلك عبر سياحها الذين يتدفقون إلى تلك الدول الفقيرة. وتشير الإحصاءات غير الدقيقة إلى أن هذه الدول تؤمن أكثر من نصف مليون سائح كل عام إلى دول جنوب شرق آسيا وحدها. وتقول أرقام (منظمة أوقفوا دعارة الأطفال) إنه تم خلال عام واحد سجن ٢٤٠ سائحًا في هذه الدول بتهمة الاعتداء على الأطفال، ٢٤٪ منهم أمريكيون، و١٦٪ منهم ألمان، و١٣٪ منهم لكل من بريطانيا وفرنسا.

هناك من يعزي انتشار هذه الظاهرة، التي لا تمت إلى الأخلاق بصلة، إلى انهيار الاتحاد السوفياتي وتفككه وسقوط جدار برلين وانفتاح أوروبا الشرقية على أوروبا الغربية، وما أسفرت عنه هذه التغيرات المأساوية من تدفق اللاجئين والساعين وراء حياة أفضل في الغرب الأوروبي، فضلاً عن عامل الفقر الغالب في تلك الدول.

تشير بعض الإحصاءات غير الرسمية إلى أن الشوارع الخلفية في موسكو وحدها تعج بأكثر من ١٠٠٠ بائعة هوى من فئة الأطفال، وتحت سن الرشد، وتتحكم فيهن مافيا منظمة، وتقدمهن لقمة سائغة للسياح الجدد الذين يأتي معظمهم من دول غربية

حبًا بالاكتشاف والمتعة.

ويأتي بث شبكة الإنترنت والأفلام الجنسية، بمثابة الخطر الأكبر. فقد كشف البوليس في مكسيكو مؤخرًا عن شبكة تنتج وتتداول وتتاجر بأفلام جنسية أبطالها جميعًا من الأطفال. وتضم الشبكة حوالي ٤٥٠٠ عضو معظمهم أمريكيون. وفي أوروبا أتلف البوليس الألماني مؤخرًا ألوفًا من شرائط الفيديو التي تنتمي إلى أفلام جنس الأطفال. وقالت صحيفة "بيلد" الألمانية إن واحدًا من هذه الشرائط يصور عملية اغتصاب جماعية لعدد من القاصرات أثناء الحرب البوسنية كان من أغلى الشرائط في السوق الألمانية، حيث بيعت النسخة منه بسعر تجاوز ثمانية آلاف دولار أمريكي.

وفي فرنسا أخضع البوليس الفرنسي آلاف الأشخاص للاستجواب قبل أن يوجه الاتهام لعدد منهم بالاعتداء على الأطفال. وذلك عبر شبكة المعلومات الفرنسية "مينيتل" وهي نظام اتصالات فرنسي موصول بشبكة إنترنت أمريكية.

أما البريطانيون فكانت عملية "ستاربورست" التي نظمها البوليس مؤخرًا أكبر هجوم على مستخدمي الكمبيوتر لتعميم أفلام جنس الأطفال عبر الإنترنت.

يقول (جان بيار رونزفيغ) وهو رئيس محكمة أطفال فرنسية إن: "شبكة الإنترنت سهّلت كثيرًا مهمة الذين يتاجرون بالأطفال وأفلام جنس الأطفال والمطبوعات الفاضحة فضلاً عن التجارة بدعارة الأطفال".

ويضيف: "المهووسون بجنس الأطفال، يغرقون شبكة الإنترنت من دون أي حذر، بسيل من المعلومات، ويتبادلون الأسماء، والعناوين على مرأى من كل واحد".

بعد قضية "دوترو" البلجيكي التي دوى انفجارها كالقنبلة في

أسماع الناس بكل المعمورة. وتحت شعار "مكافحة استغلال الأطفال في الدعارة" انعقد مؤتمر "استوكهولم" عاصمة السويد حضرته ١٣٠ دولة لمناقشة مسألة إنقاذ الأطفال في العالم من العنف الذي يتعرضون له من قبل الكبار والاغتصاب الجنسي واستغلالهم في تجارة البغاء. وترويج الدعارة...

كان هناك إجماع بين الوفود الرسمية وغير الرسمية في المؤتمر على ضرورة مكافحة هذا النوع من الإستغلال.. بالإضافة إلى السياحة الجنسية في جنوب شرق آسيا. والرجال الذين يسعون لممارسة الجنس مع من يطلق عليهم اسم أولاد الشاطئ في سريلانكا. وخطف واغتصاب الصغار في بلجيكا.

ودعا المؤتمر إلى وضع قواعد أساسية لحقوق الأطفال. من ذلك مثلاً: (بلوغ العمر الذي يحق لهم فيه القبول بممارسة الجنس وإعداد سجل عام للأطفال المموّدين. وقاعدة معلومات بأسماء المعروفين بأنهم يمارسون هذه العادة).

حول مشكلة الإنترنت طالب "جان بيار رونزفيغ" رئيس محكمة الأطفال الفرنسية بضرورة وضع قواعد وحدود لمحتويات هذه الشبكة الخطيرة.

في بريطانيا هددت الشرطة البريطانية السرية "اسكوتلنديارد" بقوة أنها ستعتقل أي مدير أو مسؤول عن أية شركة على شبكة "إنترنت" توفر خدمات غير مشروعة وصورًا إباحية. وإنها ستفرض رقابة قوية في هذا المجال. ويأتي هذا التهديد عمليًا ضمن خطة وضعتها "اسكوتلنديارد" لتنظيف "الشبكة الدولية الألكترونية" وفي أعقاب الاتهامات التي شملت العديد من الأشخاص في بلجيكا الذين اتهموا بالاعتداء على الأطفال وسوء التعامل مع الطفولة.

من الأسباب التي دفعت لتكثيف هذه الحملة: إلقاء القبض على دبلوماسي بريطاني حاول تهريب أشرطة فيديو إباحية إلى بريطانيا، تحتوي على مشاهد لأطفال قصر. وقد فصل هذا الدبلوماسي عن الخدمة وعوقب بالحبس ثلاث سنوات. وهو الذي أشرف شخصيًا على تصوير هذه الأفلام خارج بريطانيا.

الممثل الخاص لصندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة "روجر مور"[1] صرّح بضرورة الوقف الفوري لكل الأعمال التي تستخدم الأطفال، أو المشتبهين في أي شيء له علاقة بالإغراء والجنس. وقال: إن هذه الأعمال رافد رئيسي يغذي دعارة الأطفال في العالم المعاصر.

وقد شن "مور" هجومًا لاذعًا على مصمم ملابس الجينز الشهير "كالفين كلاين" الذي يستخدم عارضة الأزياء "كيت موس" الفتاة الشبيهة بالطفلة في إعلاناته المثيرة.

وهاجم أيضًا برنامجًا في التلفزيون الفرنسي اسمه "هيلين والولد" يخاطب تلاميذ المدارس الصغار، يتناول فيه الأطفال النكات حول حمل إحدى زميلاتهم.

(١) ممثل سينمائي قام بأدوار جيمس بوند.

الدعارة في إسرائيل

العالم مقبل على موجة جديدة من الرق والعبودية تتفوق على ما كان عليه الجاهليون الأولون. حيث يتعرض ملايين البشر للبيع سنويًا في شتى بقاع العالم. وخاصة في المناطق الفقيرة التي يعاني أهلها من الجوع والكوارث الطبيعية والبشرية.

أعلنت منظمة "اليونيسف" العالمية للطفولة التابعة للأمم المتحدة. في تقرير حديث لها أنه تم بيع ٢٠ مليون طفل خلال السنوات العشر الأخيرة ليعيشوا طفولتهم في ذل وهوان. وفي ظروف معيشية صعبة لا يرضاها متحضر. وأن أكثر من مليون طفل وامرأة يتعرضون للبيع والشراء كل عام. من خلال تجارة الرق المعاصرة والمتسارعة وتجارة المخدرات. ويُوَظَّف معظم ضحايا هذه التجارة في أعمال مشينة أو لاستئصال أعضاء بشرية منهم. بهدف بيعها للمرضى القادرين على دفع أسعارها.

وأكدت المنظمة أن الدول الصناعية وحدها تستورد سنويًا خمسة ملايين طفل للتبني. معظمهم يأتي من دول أفريقيا وأوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية. حيث تضم هذه المناطق ما يزيد عن ١٠٠ مليون طفل مشرد يجوبون الشوارع بحثًا عن الطعام أو للكسب الزهيد.

وقالت المنظمة أن التفاوت في الفقر والغنى بين دول الشمال

ودول الجنوب. يساعد في الترويج لهذه التجارة، حيث يوجد ملايين الأسر في المناطق الغنية، ترغب في تبني الأطفال. وفي المقابل يوجد في المناطق الفقيرة ملايين الأطفال الذين لا يجدون الطعام ويبحثون عمن يسد جوعهم. وفي هذه الظروف، يعمل تجار الأطفال الذين يستغلون حاجة البشر لتحقيق الربح الوفير. وليست مراكز التبني التي تنشئها بعض الدول بهدف مكافحة هذه الظاهرة، إلا خطوة نحو تقنين التجارة البشعة والحد من خلق عصابات منظمة، للسيطرة عليها.

وأكد تقرير لمنظمة العفو الدولية أن هناك أربعة ملايين امرأة يتعرضن لتجارة الرقيق في العالم سنويًا وأن نصيب الولايات المتحدة الأمريكية من هذا الرقم يبلغ ٥٠٠ ألف إمرأة. وأن تجارة الرق المعاصرة، متسارعة في النمو الى حد أنها باتت تشكل ثالث أكبر المصادر المربحة لعصابات الجريمة المنظمة بعد تجارة السلاح والمخدرات.

وذكر التقرير أن إسرائيل من بين الدول المتقدمة في تجارة الرقيق الأبيض، حيث وصلت هذه التجارة مؤخرًا إلى عشرة آلاف إمرأة يمارسن الدعارة. وأن حجم الأموال المتداولة في هذه التجارة يبلغ ملياري دولار في السنة.

وقال التقرير أن هؤلاء النساء يؤتى بهن غالبًا من روسيا ودول الكومنولث الروسي، ويَدخِلن إسرائيل كمهاجرات جئن للإقامة بها، وما أن يصلن إسرائيل حتى يكتشفن أنه سمح لهن بالدخول لممارسة الدعارة بالقهر والضرب وأحيانًا بالرضا.

وقد أكدت دراسة دولية حديثة، لمنظمة الهجرة الدولية أن عدد ضحايا الاتجار بالبشر في أوروبا سنويًا، يناهز ١٢٠ ألف امرأة وطفل تقريبًا.

وسلطت الدراسة - التي تستند إلى بيانات تم جمعها من ٢٠٠ مصدر في ٢٨ بلدًا - الأضواء على ظاهرة التجارة بالبشر في منطقة البلقان. نظرًا لكون هذه المنطقة تشكل مركزًا رئيسيًا لهذا النوع من النشاط الإجرامي. وتتوقع الدراسة أن تبقى منطقة البلقان معبرًا هامًا بين شرق أوروبا وغربها. خاصة وأن الحروب التي شهدتها المنطقة في السنوات العشر الماضية أدت إلى انحلال البنى الاجتماعية والسياسية والقانونية. وهو وضع يتيح لمروجي هذه التجارة حرية كبيرة للعمل. واستهدفت الدراسة. الوقوف على حجم هذه المشكلة في المنطقة وتطوير بعض الأفكار لمكافحة الاتجار بالبشر.

كشف تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية أنه يتم إجبار ما بين مليون إلى مليونين من النساء والفتيات في العالم سنويًا على ممارسة البغاء. والعمل اليدوي والخدمة في المنازل بشكل يرقى بالفعل إلى مستوى العبودية.

ويبلغ نصيب الهند ٨٠٠ ألف فتاة. يتم إجبارهن على الدعارة. فيما تواجه عدة آلاف أخريات نفس المصير في تايلاند والفلبين وكمبوديا ومناطق من أفريقيا.

كلهن يحلمن بالهجرة!!

ذكر تقرير المنظمة الدولية للهجرة، أن أرباح عصابات تهريب واسترقاق النساء في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وصلت إلى أكثر من عشرة مليارات دولار أمريكي كل عام. وأن مافيا استرقاق النساء تجني كل هذه الأرباح، من خلال تهريب وبيع نساء من آسيا وأوروبا الشرقية، إلى دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. كما ذكر التقرير أن أرباح رقيق نساء تايلاند وفيتنام والفلبين إلى اليابان وتايوان تقدر بـ٢,٥ مليار دولار أمريكي كل عام.

وردت هذه الأرقام خلال الاجتماع السنوي الشامل، الذي عقدته اللجنة البرلمانية الألمانية الخاصة بشؤون "العائلة والمرأة" في بون. وكانت اللجنة الخاصة، قد استمعت إلى أكثر من عشرة تقارير حول نشاطات مافيا تهريب واسترقاق النساء وأساليب مكافحتها، قدمتها منظمات حكومية وأهلية في جمهورية التشيك وهولندا وإيطاليا وبلجيكا وفرنسا. إضافة إلى تقارير منظمات برلين وفرانكفورت. اتضح جليًا من خلال تلك التقارير أن هناك اتفاقًا جماعيًا على أن تفاوت الوضع الاقتصادي بين بلدان العالم الثالث وأوروبا، وتفاوته بين أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية، هو العامل الرئيسي لتشجيع النساء على البحث عن بدائل، والوقوع بالتالي

فريسة في أيدي تجّار النساء. كما تشير تلك التقارير إلى أن جهل النساء الشرقيات بظروف أوروبا الغربية والولايات المتحدة وقوانينها يسهل سقوطهن في أحابيل المهربين، إذ تبقى نسبة عالية منهن بدون أوراق رسمية للإقامة. ويعملن في المواخير لقاء أجور زهيدة.

مقامرة عام واحد
يسدد ديون القارة السوداء!!

٥ ملايين أمريكي يدمنون القمار، وينفقون عليه ما يقارب ٥٠٠ مليار دولار سنويًا، فيما يقف ١٥ مليون آخرون على شفا إدمان المقامرة. ٨٠٪ من يمارسي القمار في أمريكا يفكرون في الانتحار، وينتحر منهم فعلاً ما بين ١٣-٢٠٪، وهو ما يزيد على عدد المنتحرين بسبب الكآبة.

تحكي الإحصاءات أن هناك ما بين ١٠-١٥٪ من الشباب الذين يولعون بالمراهنات، يفقدون السيطرة على عاداتهم، وأن الرجال الذين يعانون مشكلات الإدمان على المراهنات، يبدأون بالمقامرة قبل بلوغهم سن الرابعة عشرة.

يقول الأطباء أن أهم أعراض الإدمان على المقامرة هي: التعود على المقامرة والميل نحوها، ويشير الدليل التشخيصي لجمعية الطب النفسي إلى عدد من خصائص الإدمان، تشمل حاجة المقامر المدمن إلى زيادة عدد المراهنات من الناحية الكمية وزيادة تكرارها بشكل دوري، بهدف الحصول على نفس المتعة السابقة، التي كان يحصل عليها بعدد أقل من المراهنات وبتكرار أقل لها.

يشير الخبراء إلى أن المدمنين على مراهنات القمار، يحصلون على

نفس المتعة التي يحصل عليها المدمنون على الكحول أو المخدرات.

الجدير بالذكر، أن ديون القارة الأفريقية تبلغ حوالى ٣٠٠ مليار دولار، وتحتاج الشعوب الأفريقية للنهوض بالتعليم وإنشاء وتطوير هياكله المختلفة إلى ١٥٠ مليار دولار، في حين تتطلب مكافحة التصحر والجفاف، وسوء الحالة الاقتصادية ٥٠ مليار دولار مما يعني أن تكاليف نهضة القارة الأفريقية تعادل ميزانية عام واحد من المقامرة في الولايات المتحدة الأمريكية!![1]

(١) سعت الجمعية العربية في إنجلترا إلى شيخ عربي طلبًا للمساعدة في بناء مسجد. وعندما التقته كان يُقامر في أحد الفنادق الشهيرة. قال شهود العيان أنه كان ينفق الملايين في كل ليلة على القمار وفيه. أما طلب الجمعية العربية فقد حُوِّل إلى سفارة الشيخ العربي!!

بطولات مشهودة!

في السنوات العشر الماضية وحدها قتل أكثر من مليون طفل، وتحول أكثر من مليون طفل إلى يتامى، وستة ملايين أصيبوا بجروح خطيرة أو أصيبوا بإعاقة كاملة.

وبازدياد عدد الحروب التي تدور رحاها في قلب الدول، لا على حدودها الدولية، ازداد عدد الأطفال القتلى والمعاقين، والذين تعرضوا لمعاملة وحشية، والمجندين في الجيش والمجبرين على الانخراط في صفوف فصائل متحاربة، وهم ما يزالون في سن صغيرة. وتحولت صور أطفال يقترب طولهن من طول البنادق التي يحملونها، إلى مادة خصبة للتقارير الإخبارية والاستخبارية عن الصراعات من أفغانستان والعراق إلى ليبيريا، ومن سيراليون إلى سريلانكا...

ويقدر عدد الأطفال تحت سن ١٨ سنة، المجندين للعمل في الحروب، بنحو ربع مليون طفل في عدة مسارح تشهد صراعات دموية حول العالم.

ما هو نصيب الرئيس الأمريكي بوش من كل هذه الإنجازات وبخاصة في حربي العراق وأفغانستان؟!

في دائرة الفجور

- نسبة الأمية في اليمن تصل إلى ٥٨٪، وفي الجزائر ٥٠٪، وفي السعودية ٤٧٪ وفي تونس ٤٠٪ وفي الأردن ٢١٪ وفي الإمارات العربية ٢٢٪.

- نسبة الباحثين إلى عدد السكان في أمريكا هي ٢٥٠٠ إلى مليون، بينما هذه النسبة في الوطن العربي لا تتعدى ٢٠٠ إلى مليون.

- إجمالي الناتج القومي لجميع الدول الإسلامية لا يتجاوز ١٢٠٠ مليار دولار سنويًا، في حين أن إجمالي الناتج القومي الألماني يصل الى ٢٥٠٠ مليار دولار سنويًا، أما الناتج القومي في اليابان فيبلغ ٥٥٠٠ مليار دولار سنويًا...

- حجم التداول التجاري العربي الإجمالي هال العام لا يتجاوز ١٪ من استثمارات العالم البالغة ٨٦٥ مليار دولار سنويًا.

- يضم العالم الإسلامي أكثر من ثلثي المعتقلين السياسيين في العالم.

- تعرض مونيكا لوينسكي[1]، فستانها الأزرق الملطخ... بنصف مليون دولار أمريكي!

(١) اتهمت بإقامة علاقة جنسية مع الرئيس الأمريكي السابق بيل كلنتون.

- معدّل القراءة السنوية بالساعات للمواطن العربي بلغت ٣٠ دقيقة فقط.

- يُطبع سنويًا في الوطن العربي كتاب واحد، لكل ربع مليون قارئ عربي.

- يصدر العالم حوالي ٥٠ كتابًا كل ساعة، والعرب يصدرون ٥٠ بيانًا كل ساعة!!

تحت المقصلة

قررت سلطات السجون البريطانية تخصيص أجنحة في السجون لمعالجة النساء اللاتي يعتدين على الأطفال جنسيًا. بعد أن أثبتت بعض الدراسات أن الاعتداءات الجنسية ليست حكرًا على الرجال.

وقالت متحدثة باسم الجمعية الخيرية البريطانية (كيد سكيب) التي تقدم المساعدة لضحايا الاعتداءات الجنسية. أنه من خلال دراستها لـ(٨٣٦) حالة اعتداء جنسي ارتكبتها نساء. وجدت أن (٧٠٪) من المعتديات قمن بأعمالهن بشكل انفرادي وليس بمساعدة رجل. خلافًا للاعتقاد السائد بأن النساء يقترفن مثل هذه الأعمال تحت تأثير الرجال وبمساعدتهم.

وهناك حاليًا (٢٠) سجينة فقط في السجون البريطانية مدانات باعتداءات جنسية ضد الأطفال. وقد حوكمت (٣٨) امرأة لارتكابهن مثل هذه الاعتداءات وأسقطت كثير من هذه الحالات بسبب اعتقاد الناس أن هذا النوع من الجريمة يصعب ارتكابه أو أنه لا يُرتكب بتاتًا.

وعلقت متحدثة في وزارة الداخلية البريطانية. على الدراسة بالقول: إن ظهور ازدياد ارتكاب النساء لمثل هذه الجرائم هو سبب التغيرات الاجتماعية الجديدة التي شجعت الأطفال على التكلم دون خوف.

وقد حُكم قبل عام تقريبًا، على مُدرِّسة اللغة الإنجليزية لوسي هيوارد (٣٠ عامًا) بالسجن لمدة سنتين لممارستها الجنس مع أحد طلابها البالغ من العمر (١٥ عامًا) بعد أن دعته إلى بيتها وأعطته بعض المخدرات. كما اعترفت الممرضة تينا بيرسر (٢٦ عامًا) أنها مارست الجنس مع طفل في الثانية عشرة من عمره بعد أن أغرته بالحلويات والنقود. وقد استمرت علاقتها معه لمدة سنتين. وقالت ميشيل إليات، التي أشرفت على البحث: إن كثيرًا من المعتديات هن أمهات أو زوجات الآباء أو الجدات.

وبسبب هذا النوع من الاعتداء العائلي، نجد أن هؤلاء الأطفال من أكثر الضحايا تشويهًا ومواجهة للمشاكل في علاقاتهم، وبعضهم يصبح مدمنًا على الكحول والمخدرات. والبعض الآخر يبقى مضطربًا نفسيًا ويشعر بالذنب، الأمر الذي يجعله يتجه إلى معاقبة نفسه.

وكانت وزارة الداخلية البريطانية قد نشرت دراسة جاء فيها أن (٧٠) ألف طفل بريطاني يتعرضون لاعتداءات جنسية سنويًا ترتكب معظمها من قبل الأهالي، وأن (٧٠٪) من الضحايا يرتكبون هم أنفسهم الاعتداءات على الآخرين، عندما يكبرون. أما بالنسبة للنساء اللواتي يرتكبن اعتداءات مثل التي تعرضن لها من قبل، فيتراوح معدلهن بين (٥٠ إلى ١٠٠٪).

٢٠ جريمة أسبوعياً

أكدت دراسة حديثة صدرت عن منظمة العمل الدولية أن ١٠٪ من الفرنسيين يتعرضون للعنف في أماكن العمل. وتعد هذه النسبة من أعلى النسب في أوروبا. وحسب الدراسة نفسها، تتصدر فرنسا سلم الدول التي تنتشر فيها ظاهرة التحرش الجنسي بنسبة ٢٠٪، تليها الأرجنتين ١٦,٦٪، ورومانيا ١٠,١٪، وكندا ٩,٧٪، وبريطانيا ٨,٦٪.

ويعتبر الاعتداء الجسدي أكثر أنواع العنف الممارس ضد النساء، وتبلغ نسبته في فرنسا ٨,٩٪ بعد الأرجنتين ١١,٨٪، وبريطانيا ٦,٣٪، وكندا ٥٪، وفنلندا ٤,٣٪. في حين تتصدر فرنسا قائمة الدول التي يمارس فيها العنف ضد الرجال بنسبة ١١,٢٪، متبوعة برومانيا ٨,٧٪ وبريطانيا ٦,٧٪. ومما يزيد من أهمية دراسة المكتب الدولي للعمل، اشتمالها أيضًا على نوع العنف النفسي الممارس ضد الرجال والنساء على السواء في ١٥ دولة أوروبية. وتأتي المعاكسات وشتى أصناف الإزعاج على رأس قائمة أنواع العنف النفسي، الذي يطال ١٢ مليون أوروبي وأوروبية. وكثيرًا ما يتصدر هذه القائمة رؤساء الشركات والمكاتب والزملاء، وتتجسد في الصراخ والألقاب المشينة والمهينة والملاحظات الجارحة، ويحدث أن يتحول أحد أنواع العنف النفسي إلى فاجعة، إثر وقوع جريمة في مقر العمل ففي

الولايات المتحدة مثلاً، يُقتل ما لا يقل عن ألف عامل سنويًا، أي بمعدل ٢٠ جريمة أسبوعيًا!

على قوس المحكمة

ذكرت (إيفا ليبرا)، الناطقة الرسمية باسم هيئة التحقيق الخاصة في (دريسدن)، في ألمانيا، أن رجال الشرطة الذين يحققون في جرائم مجموعة من الألمان من منظمي نشاطات استغلال الأطفال جنسيًا، أثبتوا حتى الآن تورّط أفراد المجموعة في أكثر من ٢٠٠٠ حالة اعتداء جنسي على الأطفال، وهي أكبر مجموعة إجرامية منظمة يتم الكشف عنها في ألمانيا حتى الآن.

واعتبرت ليبرا أن القائمة لا تنتهي عند هذا الرقم "النسبي" الذي أطلقته، لأن التحقيق ما يزال في منتصف الطريق.

وتضم مجموعة دريسدن لاستغلال القاصرين جنسيًا أكثر من ٦٠ شخصًا معظمهم من الألمان، ويعملون في مختلف المهن، ويتحدرون من مختلف الشرائح الطبقية، بينهم العديد من الأطباء والموظفين والقضاة. واستطاع الادعاء العام كمثل، إثبات تهمة استغلال الأطفال جنسيًا ١١٠ مرات على عامل مختّص بالصناعة الكيميائية وعاطل عن العمل حاليًا وعمره ٦٠ عامًا من مدينة دريسدن، كما استطاع رجال التحقيق إثبات تهمة مماثلة على طبيب مختص بالأمراض النسائية (٥٥ عامًا)، كما انكشف تورط قاضٍ يعمل كمستشار حقوقيّ، في عشرات الاعتداءات المماثلة.

وبدأ مجرى التحقيق بعد أن كشفت فتاة عمرها ١٤ عامًا عن

قيام بعض أفراد المجموعة باستغلالها جنسيًا قبل عدة سنوات، حينما كانت في عمر لا يعينها على الإدراك. ويعتبر التحقيق في قضية أحد المتقاعدين المبكرين (٥٥ عامًا) من مدينة برنا، من أصعب قضايا التحقيق وأكثرها غرابة، لأن أفراد المجموعة الآخرين اعترفوا بأن الرجل كان يضع حفيده البالغ ٨ أعوام من العمر تحت تصرفهم جنسيًا!

عالمية المؤامرة على الطفولة!!

قبل نصف قرن تقريبًا شهدت العاصمة الفرنسية جمعًا حافلاً من الدبلوماسيين أصحاب الياقات الزاهية وربطات العنق الحريرية، توافدوا من كل حدب وصوب يبشرون بعالم جديد ينعم فيه الإنسان بحقوقه التي أهدرت مرارًا، وهكذا وُلد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، رافق المولد آمال عظام في عالم أكثر عدلاً وسلمًا ينعم فيه الإنسان بحقوقه كافة، لكن طوال نصف قرن جرت في الأنهار مياه كثيرة جرفت هذه الآمال، وفي الاحتفالات التي شهدها العالم مؤخرًا بهذه المناسبة سُطرت الكلمات ودبجت الإحصاءات ودققت إنجازات مسيرة الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، وبين هذا وذاك نسي الجميع حقوقًا أولى بالرعاية، ربما لأن أصحابها أخفض صوتًا وأضعف قوة، فهم صغار حُرموا سحر البيان وقوة الزحام، إنهم الأطفال الذين يدفعون ثمن طفولتهم ولا يعرفون من الطفولة سوى اسمها، ففي بقاع عديدة من العالم: في الصومال والسودان، في الهند وباكستان ونيبال، في النيجر ومالي وأنجولا، في رواندا وبوروندي والكونغو، في البوسنة والهرسك والشيشان، تتفتح عيون ملايين الأطفال على الدموع، تملأ مآقي أمهاتهم، ويكبرون على صليات الرصاص التي تدوي حولهم وتحصد بعضهم، فيما يبقى البعض الآخر يصارع الفقر والمرض وتغص بهم المخيمات والملاجئ وتنطق

عيونهم بالبؤس والمعاناة.

عالمنا الذي احتفل بنصف قرن على صدور ميثاق حقوق الإنسان ما زال يتفنن في صناعة اليتم وخنق الابتسامة وخطف الفرحة من عيون صغيرة هدها الفقر والألم. الإحصاءات خير دليل ففي نصف القرن نفسه الذي عاشه ميثاق حقوق الإنسان شهد العالم ٥٠ حربًا كبيرة قتل فيها أكثر من ٢٣ مليون شخص ٩٠٪ منهم مدنيون وأطفال. ذلك أن الحروب التي تخوضها الجيوش النظامية المحترفة استبدلت بها حروب أهلية بين جماعات عرقية يشارك فيها كل أعضاء هذه الجماعات مما يجعلهم وأطفالهم أعداء مستهدفين.

في السنوات العشر الأخيرة تسببت الحروب في وفاة وإصابة ٢٠ مليون طفل. وشردت ١٥ مليونًا آخرين كما يقول تقرير صندوق رعاية الطفولة التابع للأمم المتحدة (اليونسيف).

في محرقة البوسنة التي استمرت أربع سنوات دفع الأطفال الثمن غاليًا. ففي مسح أجرته اليونسيف على أطفال سراييفو وموستار. تبين أن ٤٣٪ من أطفال سراييفو هجروا مدينتهم. فيما ارتفعت النسبة إلى ٨٥٪ في موستار. أما الأطفال الذين قتل أو جرح أحد أفراد عائلتهم فهم ٣٧٪ من أطفال سراييفو و٥٧٪ من موستار. ومن تعرضوا للقصف المركّز ٩٧٪ من أطفال سراييفو و١٠٠٪ من أطفال موستار. كما استهدف القناص ٥٥٪ من أطفال سراييفو و٩٠٪ من أطفال موستار. وشاهد ٦٣٪ من أطفال سراييفو جرحى أو قتلى وارتفعت النسبة إلى ٦٧٪ من أطفال موستار.

وفي الصومال مات نصف الأطفال تحت سن الخامسة في عام واحد وأصيب بالهزل الشديد ٤٠٪ من أطفال ثلاثة بلدان تشهد حربًا أهلية هي السودان وليبيريا وأنجولا. وفي العراق لقي مليون

طفل مصرعهم منذ الحرب العالمية الأمريكية العراقية.

٢٠٪ من أطفال أنجولا انفصلوا عن عائلاتهم. ومات منهم ثلث مليون طفل بسبب الحرب الأهلية. ومات نصف مليون طفل في موزمبيق خلال فترة الصراعات التي امتدت لثمان سنوات. فيما افترست الكوليرا ١٥٠ ألف طفل رواندي. فروا من الحرب الأهلية التي استمرت هناك حتى منتصف التسعينات.

في ٢٥ دولة انخرط مئات الآلاف من الأطفال في الحروب طوعًا أو كرهًا وشارك أكثر من ٢٠٠ ألف طفل في الحروب التي شهدتها المنطقة. ويرجع هذا التزايد المضطرد في أعداد "الجنود الصغار" إلى تطور تكنولوجيا الحرب. فالأسلحة الخفيفة تيسر للأطفال المحاربين استخدامها بسهولة حتى أن أطفال الحرب في ليبيريا وسيراليون يستعملون البندقية AK47 التي تباع بستة دولارات فقط. كما وجد لوردات الحرب في الأطفال جنودًا مثاليين فهم مطيعون ويمكن ترويضهم بسرعة. ولا يتقاضون مقابلاً ماديًا. فضلاً عن أنهم أقل هروبًا من الكبار.

الأطفال هم الحلقة الأضعف في سلسلة المجتمع. وبالتالي فهم الفئة الأكثر معاناة من شتى أنواع الاضطهاد.

تداعى ممثلو ١٨٠ دولة إلى مؤتمر دولي في العاصمة السويدية استكهولم لمناقشة ظاهرة استغلال الأطفال في الجنس. ومن خلال مداولات المؤتمر تبين أن ما يزيد عن مليوني طفل استخدمتهم المافيا الدولية في تجارة الجنس. وأن الشواذ في أوروبا وأمريكا أصبحوا قوة اقتصادية قادرة على جلب الصبيان من تايلاند والفلبين وبيرو والبرازيل وكولومبيا وهندوراس والمكسيك لاستخدامهم في أغراض المتعة الجنسية. وهناك عصابات في أوروبا الشرقية متخصصة في توريد عشرات الآلاف من الأطفال للعمل في المواخير وعلب

الليل. وأصبحت ظاهرة الاتجار بالأطفال لأغراض الجنس صناعة تستثمر ١٠ مليارات دولار معظم أساطينها من الصهاينة أصحاب الحانات وعلب الليل وبيوت الهوى.

بخلاف القتل والاستغلال الجنسي تحصد الأمراض الفتاكة ملايين الأطفال كل عام ففي عام واحد أودت الأمراض والأوبئة بحياة ١٥ مليون طفل في العالم، بمعدل ٣٥ ألف طفل يوميًا من بينهم ٣ ملايين طفل في الأسبوع الأول من ولادتهم. ويعاني أكثر من ربع أطفال العالم الثالث من سوء التغذية يعيش ٨٠٪ منهم في عشر دول بينها باكستان وإندونيسيا وإيران وبنجلاديش التي يولد ٤٠٪ من أطفالها بوزن يقل عن ٥ باوندات. ولا يستطيع ٥٠ مليون طفل في بلدان العالم الثالث الاستفادة من التعليم بسبب إصابتهم الخطيرة بنقص اليود.

وبعد مرض الحصبة كثر أسباب موت الأطفال شيوعًا بين الشعوب الفقيرة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية. فقد أودى هذا المرض بحياة ١,٢ مليون طفل في عام واحد وفقًا لإحصاءات منظمة الصحة العالمية. هذا المرض الذي يحصد الملايين من أبناء الفقراء يعالج في الولايات المتحدة الأمريكية ببقاء الطفل ليوم أو يومين في البيت. ويفتك الالتهاب الرئوي بأكثر من ٤ ملايين طفل سنويًا يليه الإسهال الذي يحصد أرواح ٣ ملايين طفل في السنة، ويموت منه في الهند وحدها ١٩٠٠ طفل يوميًا أي ما يعادل مصرع جميع ركاب ٥ طائرات بوينج ٧٤٧ بعد تحطمها، ولا يثير هذا الموت الجماعي اهتمام أحد.

تحتاج اليونيسف إلى ٣٥ بليون دولار سنويًا لمواجهة الأمراض والمجاعة التي تحصد أرواح ملايين الأطفال وهو مبلغ يعادل نصف ما ينفقه الأوروبيون على السجائر (٥٠ بليون دولار) وأكثر قليلاً من

نصف ما ينفقه الأمريكيون على البيرة (٤٤ بليون دولار).

يعتبر أطفال أفريقيا هم الأشد بؤسًا بين نظرائهم في العالم الثالث وتقف وراء ذلك قائمة من الأسباب أولها المياه. ذلك أن ٤٢٪ فقط من سكان جنوب الصحراء الأفريقية، يحصلون على مياه نقية، وتنخفض هذه النسبة إلى ٣٪ في سيراليون و١٨٪ في وسط أفريقيا و٢٤٪ في تشاد وأثيوبيا و٣٩٪ في نيجيريا. وثانيها انخفاض معدل التطعيمات ضد الأمراض. ففي الصومال تمكنت البونيسف من تطعيم ٦٠٠ ألف طفل في عام واحد. ولكن مع انتهاء مهمة الأمم المتحدة هناك لم تستطع المنظمة سوى تطعيم ٢٠٪ فقط من الأطفال. وحذرت منظمة "أطباء بلا حدود" من أن هناك مخاطر مؤكدة لعودة وباء الحصبة الذي سيصبح أشد من المرات السابقة. لقد دفع العالم ٢ مليار دولار لتمويل مهمة عسكرية أمريكية فاشلة في الصومال. لكنه الآن لا يدفع شيئًا لوقف الموت الذي يحصد الأطفال هناك.

خلال الحرب الأهلية في روندا فر ٢ مليون من "الهوتو" مات منهم ٥٠ ألفًا في معسكرات اللاجئين ومعظمهم من الأطفال. وفي نيجيريا تدهور معدل تطعيم الأطفال ضد الأمراض المعدية من ٨٠٪ إلى ٢٠٪. أما في النيجر ومالي وغينيا ومالاوي فإن نصف المتزوجات تفقد كل واحدة منهن طفلاً على الأقل. بل إن ثلث المولودين في النيجر لا يعيشون حتى سن الخامسة. ورغم أن مساحة موزمبيق تبلغ ضعف مساحة ولاية كاليفورنيا درة الولايات المتحدة الأمريكية. لكن ١٠ سنوات من الحرب من أجل الاستقلال و١٦ سنة من الحرب الأهلية جعلت أطفال هذا البلد نهبًا للأوبئة والمجاعات حتى أنه من بين كل ألف مولود يموت ١٦٤ منهم دون أن يكملوا عامهم الأول. وليس هناك أي أمل في تحسين هذا الوضع.

فميزانية الخدمات الصحية تأتي بالكامل من المساعدات الخارجية التي ولى زمانها. فبعد سقوط الشيوعية لم تعد الدول الغنية في الغرب بحاجة إلى استرضاء دول الجنوب بتقديم المساعدات إليها وتركتها تغوص في بحر من الحروب والنزاعات والأمراض. وتبرأت مما صنعت أيديها. فقد خفضت كندا مساعداتها للدول الفقيرة بمقدار الثلث واقتطعت بريطانيا ٢٤ مليون دولار من مساعداتها للدول الأفريقية. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد أصبح من الصعب إقناع دافع الضرائب - الذي لا يعرف إذا كان سينعم بالتأمين الصحي الشهر القادم أم لا - بإنفاق الأموال لتأسيس نظام صحي في بلد آخر.

في النهاية لا يمكن إعفاء البلدان الفقيرة من المسؤولية فبعضها ينفق الأموال لشراء السيارات الفارهة للوزراء والجنرالات. بينما لا يصل ما تنفقه على الرعاية الصحية للفرد ٥ دولارات سنويًا. وبعض الدول النامية تجد نفسها في دوامة الحرب لأسباب حقيقية دفاعًا عن النفس أو لأسباب مختلفة. استجابة لمصالح شركات السلاح.

باكستان مثلاً تنفق ٣٠٪ من ميزانيتها على القوات المسلحة و١٪ على الرعاية الصحية والهند تفعل الشيء نفسه مع أن البلدين من أكبر دول آسيا في معدلات موت الأطفال.

فقراء ناطحات السحاب!!

أعلنت (مؤسسة الدفاع عن الأطفال) الأمريكية أن عشرين في المائة (١٤,٥ مليون طفل) من أطفال الولايات المتحدة، الدولة الأغنى والأقوى في العالم اليوم، يعيشون في فقر مدقع، مع أن الاقتصاد الأمريكي يشهد حالة ازدهار لم يسبق لها مثيل منذ أكثر من عشرين عامًا.

وقالت المؤسسة: إن الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة، التي تأتي في مقدمة الولايات التي يعاني أطفالها من حالة الفقر، لم تعد هي الولايات الأولى في هذا المجال، وانما انتشرت حالة فقر الأطفال في ولايات الغرب الأمريكي. وبناءً على دراسة قامت بها المؤسسة المذكورة، فإنه لم يطرأ أي تحسن على حالة فقر الأطفال الأمريكيين، إذ أنه لا يزال هناك واحد من كل خمسة أطفال أمريكيين يعاني من الفقر.

وطلبت (مؤسسة الدفاع عن الأطفال) ومنظمات مهتمة بالأطفال، من الكونغرس تخصيص عشرين ألف مليون دولار للأعوام الخمسة المقبلة، في خطوة أولى لعلاج هذه المشكلة.

قالت ماريان رايت، رئيسة المؤسسة: إن المعيار الذي حددته الدراسة لحالة الفقر هو دخل سنوي لا يقل عن ١٢٥٠٠ دولار لعائلة مكونة من ثلاثة أفراد. وأضافت، في إعلانها عن نتائج الدراسة: إن

الأغلبية من الأطفال الفقراء هم من عائلات عاملة. أما الأطفال الذين يعيشون تحت خط الفقر فإن دخل عائلاتهم لا يتجاوز ٥٧٦٠ دولارًا في العام. ويقدر عددهم بحوالى ٥,٥ ملايين طفل.

وعلق خبراء اجتماعيون على نتائج الدراسة. بأنها توضح بعض أسباب الجريمة المتزايدة بين الأطفال الأمريكيين. ورأوا أن حالة الفقر التي يعيشها الأطفال وأسرهم لا توفر لهم التعليم اللازم. وتدفعهم إلى دخول عالم المشاكل والإجرام.

الموز في جمهوريات الموز!!

الأطفال المشرّدون في أمريكا اللاتينية، كارثة إنسانية تواجهها الجمعيات الخيرية العاملة هناك، بعد عجزها عن تقديم الخدمات المطلوبة المساعدة على حل المشكلة، إذ ازدادت أعدادهم خلال الأعوام العشرين الأخيرة من ٤-٧ ملايين طفل بلا مأوى، وتزيد حدة هذه الظاهرة في هندوراس، والمكسيك، وغواتيمالا، وشيلي، وبيرو، التي يبلغ عددهم فيها مليون طفل، بينما يصل الرقم إلى مليون ونصف المليون في كولومبيا.

وترجع الزيادة المطردة في أعداد الأطفال المشرّدين إلى الحروب الأهلية الطويلة، التي عانت منها هذه الدول، وجماعات المعارضة المسلحة، ورجال حرب العصابات، وجماعات المافيا، التي تعمل في زراعة المخدرات والاتجار بها، كما ترجع أسباب الزيادة إلى الفقر الشديد الذي تعاني منه العائلات في تلك الدول، مما يضطرها في بعض الأحيان إلى التخلي عن أطفالها وتركهم في الشوارع، أو تقديمهم إلى رجال العصابات مقابل مبالغ مالية شهرية، وفي أحيان أخرى يترك الأطفال قراهم وذويهم ويفرّون من قسوة الفقر إلى العاصمة، ومن ثم ينضمون لتلك الجماعات التي تتلقفهم، ثم تقوم بتسليحهم في سن لا تتجاوز الثانية عشرة، وتلحقهم بالمعارك التي تخوضها ضد بعضها البعض، أو ضد النظام الحاكم، أو لحماية

تجارة المخدرات، خاصة في كولومبيا التي تعتبر المقر الرئيسي لعصابات المافيا العاملة بها.

ورغم الجهود التي تبذلها الجمعيات الخيرية في إعادة تأهيل هؤلاء الأطفال وتعليمهم، بالتعاون مع أجهزة الشرطة التي تتولى تجميعهم من الشوارع، إلاّ أن الأطفال أنفسهم لا يستجيبون في كثير من الأحيان لتلك المؤسسات.. فمن الصعب عليهم التخلّي عن دور الرجل المحارب الذي تعوّدوه في حياتهم السابقة، والاكتفاء بدور التلميذ المطيع.. لذلك، فهم يتسرّبون من تلك المؤسسات، ويفضلون العودة لحياتهم السابقة.. وأغلبهم يتعاطون المخدرات التي يقومون ببيعها لصالح جماعات المافيا، كما يعمل عدد كبير منهم في الدعارة سواء كانوا أولادًا أو بناتًا، وتوجد جماعات خاصة، تتولى تنظيم عمل الأطفال في هذه المهنة وجذب السائحين لها. وعلاوة على هذا، فإن هؤلاء الأطفال منظمون جيدًا فيما بينهم، ودائمًا يوجد طفل يتولى قيادة جماعتهم، يأتمرون بأمره، وهو غالبًا ما يكون أكبرهم سنًا، وأقواهم جسمًا؛ وهم يكوّنون فرقًا خاصة ذات تنظيم ديمقراطي للقيام بعمليات السرقة، ويطلقون على أنفسهم أسماءً، مثل: "عصابات سمكة الأمازون"، وهذه العمليات لا تخلو من مطاردات مستمرة مع قوات الشرطة، تنتهي إما بإلقاء القبض عليهم، أو الاستيلاء على ما سرقوه، وفي الغالب تنتهي حياتهم بالموت.

ورغم زيادة أعداد المؤسسات الخيرية، فإنها جمعيات تعاني ضعف إمكانياتها، مقارنة بما يجب تقديمه لهؤلاء الأطفال، وبخاصة الفتيات اللواتي يتم استغلالهن أبشع استغلال في عمليات الدعارة، مقابل جنيه إسترليني في المرّة الواحدة.. أما الأطفال الذين يتم إغواؤهم بحمل السلاح في سن مبكّرة للقتال، فإن ذلك يكون مقابل الطعام أو الكساء، وتُزهق أرواحهم يوميًا عندما يكون ذلك هو الحل.

محاربٌ في السابعة من عمره!!

أعلنت مديرة قسم التخطيط والتقييم باليونيسيف مارتا بايز، أن الإحصاءات الدولية أكدت وجود ١٣٠ مليون طفل حول العالم بدون تعليم يعملون في ظروف استغلالية خطيرة، وأن ١٣ مليون طفل آخرين سيموتون بسبب سوء التغذية وأمراض من السهل علاجها، ومليون طفل أجبروا على العمل في الدعارة، و٢٥٠ - ٣٠٠ ألف طفل يخدمون في الجيوش النظامية والجماعات المسلحة في أنحاء العالم، يبلغ أصغرهم السابعة من عمره.

هذه الأرقام نذكرها خصوصًا في زمن الادّعاءات العولمية لعل زعماء العالم يتحولون قليلاً من الكذب على الشعوب واستخدامهم إلى الصدق مع الشعوب والعمل على خدمتها!!

دعارة الثقوب الهوائية!!

المشكلة الرئيسية في العالم اليوم، هي أن أصحاب القدرة على الكلام وعلى النشر والظهور في المنتديات الدولية ووسائل الإعلام، هم أنفسهم من المساهمين في استكمال دورة العنف ضد الأطفال، وهم أنفسهم من المساهمين في تحويلهم إلى عالم الدعارة الأسود..

يجب أن لا نُصدّق الإعلانات الضخمة الملونة والمعروضة في أجمل مناطق العواصم وعلى البنايات الشاهقة. . . يجب أن نصدق الحقائق التي تصوّر أكثر من مليون طفل يُستخدمون كالآلات في جيوش وعصابات العالم. اليوم يزداد هذا الرقم ويصل إلى الملايين في كل بلدان العالم بشكل أو بآخر، وبرغم معاهدة إلغاء الرق والعمل القسري والعبودية للأطفال إلا أن العالم يحولهم عن قصد إلى دائرة القهر والدعارة..

الأطفال يتحولون إلى الدعارة في البلاد السياحية، ويتحولون إلى الدعارة المسلحة والقتل والتعذيب في البلاد الحربية والفقيرة، في السودان وسيراليون وكمبوديا وكوسوفا وسريلانكا وغيرها، هم دون الخامسة عشرة من العمر ولكنهم يحملون المخدرات ويحملون الأسلحة ويحملون العصي ويحملون أيضًا أسماء الداعرات والبغايا وعناوينهن، فالحلقة واحدة والعالم يتفرّج، ولكنه

أيضًا يدّعي الحرص على الطفولة ولكنه يغتصبها بالأفعال..

مجلس الأمن طالب بالإجماع من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة منع استخدام الأطفال كجنود في النزاعات المسلحة. ويصدر القرار ١٣١٤ بهذا الشأن. ولكن المشكلة تتفاقم ويموت من أطفال العالم كل ١٠ سنوات أكثر من مليونين ويجرح منهم أكثر من ستة ملايين آخرين أما اليتامى من الأطفال فيتجاوزن المليون كل عقد من الزمان الحديث. فماذا قدّمت المنظومة الدولية لأطفال العالم غير الكلام؟!

كشفت إحدى المنظمات الخيرية الدولية النقاب عن وجود نحو ثلاثة عشر مليون طفل مشردين عن ديارهم في جميع أنحاء العالم بسبب الحروب. ودعت منظمة (أنقذوا الأطفال) في تقريرها السنوي حكومات العالم والجماعات المتمردة والأمم المتحدة إلى احترام حقوق هؤلاء الأطفال... موضحة بأنهم عرضة لأخطار العنف والجوع والمرض. وعادة ما يكونون تحت رحمة من قاموا بطردهم من ديارهم.

وقد أضافت المنظمة في تقريرها أن أكثر المناطق التي عانى منها الأطفال هي كوسوفو وسيراليون وإنجولا وسيرلانكا وكولومبيا.

التقرير الذي جاء بعنوان (الحرب جاءت بنا إلى هنا) يلقي الضوء على البلدان التي يتعرض فيها الأطفال إلى المخاطر. ففي سيراليون، تعرض الآلاف من الأطفال إلى المذابح والاغتصاب وقطع الأطراف. كما تعرض آخرون أيضًا إلى استخدامهم كجنود في نزاعات هذا البلد الواقع غرب إفريقيا.

أما في كولومبيا، فيشير التقرير إلى ارتفاع حالات قتل الأطفال، وإجبارهم على مشاهدة قتل، أو محاولة قتل أحد أفراد أسرهم.

وفي إنغولا، حيث تعد تلك الدولة المكان الأسوأ في العالم

للطفل. خلّفت عقود الحروب التي تعاني منها هذه الدولة العديد من المآسي. فهناك أكثر من مليوني شاب بلا مأوى، منهم من هو مصاب بالإعاقة نتيجة انفجار الألغام الأرضية.

الأطفال في فلسطين المحتلة يُسحقون بقذائف الدبابات ويختنقون بالقنابل المسيلة للدموع. ثم تُؤخذ أعضاؤهم وأنسجتهم، ويقذف بهم جيش الاحتلال الصهيوني إلى المزابل والمناطق المهجورة. يُعامل أطفال فلسطين بصورة وحشية لم تعرف في كل التاريخ. يُعتقلون، يحاكمون، يقتلون، ويدّعي العالم بأنه يحمي الطفولة، وبأن النظام العالمي الجديد جاء لحماية الإنسان ولتأكيد حريته.. إنها الدعارة بعينها، دعارة الثقوب الهوائية التي تصدر الكلمات في زمن العهر العولمي المزوّق.

الأطفال في الدول العربية يعانون من الويلات أيضًا. فقد أصدرت منظمة العمل العربية تقريرًا يشير إلى وجود ٦.٧ مليون طفل عربي في سن التعليم غير مسجلين في المدارس، منهم ٢.٤ مليون من الذكور، ٤.٣ مليون من الإناث، وأن هؤلاء يعملون بظروف قاهرة تحوّل بعضهم إلى الدعارة والعمل المهين... وتشير الدراسات إلى أن سوء الأوضاع المعيشية في العديد من الدول العربية تأخذ بيد أطفال العرب إلى الرذيلة تحت المسميات الأقل حدّة...

في العالم اليوم حوالي ٦ مليارات إنسان، نصفهم يعيشون على أقل من دولارين في اليوم، ١٣٠٠ مليون منهم يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم. فكم هو عدد الأطفال المضطرون لفقد طفولتهم والاندماج في حياة الرجال والنساء، المضطرون حتمًا لدخول عالم الدعارة الأسود؟! الرقم بالملايين، على أن عام ٢٠٢٥ سيكون عام الكارثة لأطفال العالم إذا لم تعمل الدول الغنية، أو ال[illegible] لسبعة الكبار، على شطب ديون العالم الفقير وتمويل

حياة الأطفال ورعايتهم تمامًا كما يُرعى الطفل في نيويورك ولندن وباريس وهونغ كونغ.. فأطفال العالم عام ٢٠٢٥ سيعدّون ٢ مليار إنسان، ٩٠٪ يعيشون تحت خط الفقر، مما يعني أن ٨٠٪ منهم سيتحولون إلى شكل من أشكال الدعارة العالمية!

مكافحة الفقر تبدأ بمكافحة الفساد الدولي، والفساد سمة من سمات العالم الجديد، مما يؤدي إلى زيادة الفقر وزيادة عدد الأطفال الفقراء، والحلّ بالنظرة الأخلاقية للعولمة!!

مما ليس في التقرير عن حلبجة!!

كشفت كرستين جوسدين، أستاذة المورّثات الطبية في جامعة ليفربول البريطانية، من خلال بحث ميداني في مدينة حلبجة الكردية العراقية، بعد مرور عشر سنوات على قصف المدينة بالغازات السامة، أن الأمراض والأعراض الخطيرة التي يصاب بها الناجون من هجمات الأسلحة الكيميائية تسبب محنًا وآلامًا جسمانية ونفسية وعقلية للأبناء والأحفاد، لا تقل وطأةً عما كابده آباؤهم وأجدادهم.

فما أُلقي على مدينة حلبجة من قنابل معبأة بالغازات السامة، خصوصًا غاز الخردل وغاز الأعصاب (السارين) وغاز التابون وغاز "في - إكس (VX)"، أدى إلى موت ٥ آلاف من سكانها في الحال، وإصابة ١٥ ألفًا آخرين بإصابات خطيرة، مات بعضهم في السنوات اللاحقة، بينما ما يزال الآخرون يواجهون أوضاعًا صحية سيئة للغاية.

تقول جوسدين: "إن ما وجدته في حلبجة بعد عشر سنوات من استخدام السلاح الكيميائي ضد سكانها، كان أسوأ بكثير مما كانت تتصور". وهي بحكم معرفتها وخبرتها، كانت تتصور أنها ستلاحظ على بعض السكان أشكالاً من السرطانات والتشوهات الخلقية والعقم والعمى والتلف العصبي، إلاّ أنها - والقول لـ

جوسدين - وجدت كل هذا وغيره مما هو أكثر خطورة وأوسع نطاقًا مما كانت تعتقد.

تستطرد جوسدين قائلة: "عملتُ مع الأطباء، وعقدنا مقارنات لنسبة حالات العقم والتشوهات الخلقية والسرطان، بما في ذلك سرطانات الجلد والرأس، لأناس كانوا فيها يوم الهجوم، مع سكان مدينة أخرى في المنطقة، فوجدنا أن هذه النسبة أكبر بثلاثة إلى أربعة أضعاف على الأقل حتى بعد عشر سنوات على الهجوم". ومن خلال ملاحظاتها وجدتُ أن نسبة إصابة الأطفال والشباب بالسرطان في معدلاتها أعلى منها في أي مكان آخر في العالم.

وتضيف أن مما يزيد الأمر سوءًا هو النقص الكبير في وسائل الجراحة الخاصة بأمراض الأطفال، لمعالجة العلل القلبية الخطيرة وتشققات الشفتين واللثة والتشوهات الخلقية الخطيرة الأخرى لدى الأطفال، وهذا يعني أن الكثيرين منهم يموتون، بينما كان بالإمكان إنقاذ حياتهم.

أما عن الآثار النفسيه والعصبية التي تركها الهجوم بالسلاح الكيميائي على سكان حلبجة، فتشير الباحثة جوسدين قائلة: "تواجهك المحنة الإنسانية هنا في كل شارع وبيت وردهة في المستشفى. أشخاص ينتحبون ويشعرون بضيق نفسي شديد بسبب ما يعانون من كآبة حادة، وتكرر محاولات الانتحار بشكل مرعب، ويُمضي الجراحون أوقاتًا طويلة في العمل على استخراج الرصاصات من أجساد أناس حاولوا قتل أنفسهم".

وتستنتج جوسدين من أبحاثها أن التشوهات الخَلْقية والأعراض المرضية الخطيرة التي ولدت مع الأطفال الذين جاءوا إلى الحياة بعد سنوات عديدة من الهجوم الكيميائي "تشير إلى أن هذه الآثار تنتقل إلى الأجيال اللاحقة، والكثير من أطفال حلبجة الصغار

يعانون الآن من مشكلات في التنفس والنظر والجلد ومن سرطانات وتشوهات خلْقية وعاهات واضطرابات عصبية وتخلف عقلي "شلل دماغي". وتضيف أن هذه السلسلة الواسعة من الأعراض المرضية في حلبجة يمكن عزوها إلى التلف طويل الأمد للحمض النووي (DNA) للذين أصيبوا في حلبجة ولأبنائهم.

قام أهالي المدينة بالتعبير عن محنتهم، بعد استقرار الأوضاع في مدينة حلبجة، وسيطرة الأحزاب الكردية على شمال العراق، وانسحاب القوات الحكومية العراقية منها، وذلك من خلال لافتة وضعوها عند مدخل المدينة يراها أي زائر، كتبوا عليها: (مرحبًا بكم في "حلبشيما")، حيث أنهم مزجوا اسم مدينتهم مع اسم هيروشيما اليابانية، التي اكتوت بنار القنبلة النووية في الحرب العالمية الثانية. هذا فضلاً عن التمثال البرونزي الذي نصبوه لأشهر قتلى القصف الكيماوي، ذلك الرجل الذي يحنو على اثنين من أولاده لحمايتهما من الغازات السامة العراقية.

مما ليس في تقرير كرستين جوسدين عن حلبجة، أن الولايات المتحدة هي التي زودت الطاغية صدام حسين ببرامج السلاح الكيماوي وأن باول وزير الخارجية هو الذي أشرف عليه عندما كان مستشارًا للأمن القومي، وأن القصف الكيماوي على حلبجة كان أيضًا ضد الجيش الإيراني الذي يحتل المدينة آنذاك.

مزاد على الأعضاء الهامة!!

تطالعنا الأنباء بين الحين والآخر عن سقوط "شبكات الرقيق" التي تعمل في تجارة الأعضاء البشرية للأطفال، فتثير القلق والاشمئزاز والرعب عن مصير أطفال العالم الذين صار بعضهم مجرد قطع غيار بشرية يتاجر فيها راغبو الثراء السريع، ويقومون بتصديرها لمستشفيات العالم التي تطلب أعضاء بديلة لمرضاها الأثرياء.

إن الأرقام والتفاصيل التي نقرؤها ونسمعها عن هذه التجارة الملعونة من كل العقائد والأديان، تدل على أن أطفال العالم في خطر، ما دامت هذه الشبكات موجودة وتمارس نشاطها، فلا غرابة أن يلجأ أفرادها إلى سرقة الأطفال وخطفهم ليس فقط من المستشفيات - كما يحدث في بعض دول العالم - ولكن من الشوارع والمدارس والبيوت، فيصبح كل طفل معرضًا للسرقة أو الخطف والإيداع في إحدى "مزارع الأطفال" تمهيدًا لبيعه حيًا أو بيع أعضائه ميتًا!

ظاهرة بيع الأعضاء البشرية للأطفال، برزت بشكل واضح في أمريكا اللاتينية، فقد صرحت هيئة الأمم المتحدة عن اختفاء ٢٠ ألف طفل من المكسيك، و٤ آلاف طفل من البرازيل، وفي كولومبيا ألفا طفل، وفي غواتيمالا ٥٠٠ طفل.

ذكرت صحيفة "برنيزاليبر" الصادرة في غواتيمالا، أن ثمة تعريفات دولية لسوق بيع الأعضاء، تتراوح بين ٢٥٠٠ دولار لقرنية العين ومليون دولار للقلب.

وجه "ليون شوارتزنبرغ" نائب البرلمان الأوروبي، اتهامًا إلى إيطاليا بالاتجار في أعضاء الأطفال، حيث تم استيراد حوالي أربعة آلاف طفل برازيلي إلى إيطاليا تحت اسم أطفال التبني بصفة رسمية، ولم يعثر إلا على ألف طفل فقط على قيد الحياة، بينما لا يوجد أي أثر من الثلاثة آلاف طفل الباقين.

ذكرت التقارير أن كثيرًا من الأطفال البرازيليين قد تم احتجازهم، بناء على أوامر صادرة من عصابات الرقيق في مدينة نابولي، في عيادات سرية في المكسيك وتايلاند وأوروبا، حيث تم انتزاع جميع أعضائهم البشرية وبيعها، وعن سبب اختيار أطفال البرازيل بالذات يقول بعض المراقبين: إن البرازيل تقتل أطفال الشوارع... فلماذا لا تستفيد منهم البشرية بدلاً من أن يموتوا كما تموت الكلاب الضالة؟!

المعروف طبيًا أن الكلى وحدها هي التي يمكن أن تنتزع من أي كائن بشري دون أن يتسبب ذلك في موته، حيث يستطيع العيش بكلية واحدة، ولكن من الواضح أن ما يحدث لهؤلاء الأطفال هو انتزاع جميع أعضائهم بما في ذلك القلب والرئتان والكبد والأمعاء الدقيقة والغليظة وبيعها في سوق الأعضاء البشرية مقابل عشرات الآلاف من الدولارات.

في ألمانيا عرف الناس ما سُمّي بالصيف الدامي حيث فقدت آلاف الأسر الألمانية أطفالها، وذكرت الإحصاءات الرسمية هناك أن أكثر من ١٠ آلاف طفل قد اختفوا خلال أشهر ذلك الصيف الدامي، وهؤلاء الأطفال تقل أعمارهم عن ١٤ عامًا، وظهر بعضهم قتلى

وامتلأت الصحف الألمانية بصور الأطفال المتغيبين، وصور الأطفال الذين تم العثور عليهم. والظن الأرجح - كما يقول المراقبون - عن السبب الرئيسي لاختفاء هذه الأعداد الكبيرة المتزايدة من الأطفال طوال هذه المدة في ألمانيا هو وقوع الأطفال ضحايا لعصابات "قطع غيار الأعضاء البشرية" المنتشرة في كثير من البلاد الأوروبية.

في سريلانكا كشفت الشرطة في السنوات الأخيرة عن عصابة سرية تدير مزارع لتسمين الأطفال، تشبه إلى حد كبير مزارع تسمين الأبقار والدواجن. وهذه المزارع تقوم بتجميع الأطفال حديثي الولادة ورعايتهم تمهيدًا لبيع أعضائهم كقطع غيار بعد ذلك. وهذه العصابة السرية تقوم بخنق الطفل وتشريحه فورًا لاستخراج العضو المطلوب وبيعه بأسعار طائلة. وهي على اتصال مستمر وسري مع عدد من المستشفيات الكبرى في العالم المتحضر، التي تستورد أعضاء بديلة لمرضاها الأثرياء.

على مستوى المنطقة العربية برزت في السنوات الأخيرة قضيتان لتجارة أعضاء الأطفال: الأولى قضية "توفيق أبو خجيل" الذي كانت جريمته حديث الشارع الأردني. فقد كان يعمل قنصلاً فخريًا لسريلانكا، ويدير بشكل سري عملية تجارة الأطفال في الأردن وخارجها، حيث كان يسافر إلى سريلانكا ويجلب الخادمات مقابل دفع تعويضات لأسرهن، وعندما يجتمع لديه عدد معين من الخادمات في الأردن يستخدمهن في الدعارة أولاً، وعندما يحملن تتم عمليات الولادة والتفريغ على يديه في حجرة سرية بجوار مكتبه بالقنصلية، ويستغل الأطفال في اتجاهين: البعض يباع للأسر المحرومة من الإنجاب في أي بلد، وكانت تساعده في ذلك سكرتيرته التي كانت تسافر بصفة "ورية لحصر احتياجات الأسر ونوعية الطفل ذكرًا أم أنثى، والبعض الآخر يتم تصديره لبيع أعضاء من

أجسامهم بحجة إنقاذ المرضى المحتاجين للحياة.

أما القضية الثانية على مستوى المنطقة العربية فقد تفجرت في مصر، عندما تقدم عزالدين نصار نائب البرلمان المصري، بطلب إحاطة عاجل لرئيس مجلس الشعب حول مقتل ٢٥ طفلاً بجمعية رعاية الأطفال اللقطاء بشبين الكوم "المنوفية"، وقيام صاحب الجمعية ببيع أعضائهم البشرية وتحقيق أرباح طائلة من وراء هذه التجارة المحرمة. وقال صاحب طلب الإحاطة إنه تأكد من الأمر عندما قابل الحانوتي وسأله عن الأطفال الموتى، ففاجأه الحانوتي بأنه لا يعرف شيئًا عنهم ولم يدفنهم في المقابر، أي إن الأطفال الموتى بلا جثث! وعقب تقديم طلب الإحاطة العاجل لمجلس الشعب تقدم عشرة من نواب المجلس ببلاغ إلى النائب العام المصري حول واقعة اتجار هذه الجمعية بالأعضاء البشرية للأطفال بعد قتلهم، وقيام الجمعية بجلب الأطفال اللقطاء وإعادة بيعهم للمستشفيات الاستثمارية مقابل مبالغ طائلة.

لصاق السيدا في المغرب!!

تشير إحدى الدراسات للباحث المغربي السيد سعيد حلمي حول "أطفال الشوارع بالمغرب" أنه بات من الطبيعي أن تشاهد في أكبر شوارع المدن المغربية جماعات من الأطفال في حالات التيه المتواصل والشرود الذهني المرضي بسبب تأثير مخدرات غير مصنفة وغير معروف خطورة مضاعفاتها الآنية والمستقبلية على صحة هؤلاء الأطفال...

وتوضح الدراسة أنه على الرغم من عدم وجود إحصاءات دقيقة بشأن حجم الظاهرة، فإن بعض التقديرات تشير إلى أن عدد أطفال الشوارع في المغرب يقدر بحوالى ٢٣٤ ألف طفل. وتؤكد الدراسة أن هؤلاء الأطفال معرضون لشتى أنواع الانحراف والتوظيف من قبل محترفي الجريمة، حيث إن هؤلاء الأطفال يمرون بتجارب قاسية تخل بتوازنهم النفسي والعاطفي. وتبرز الدراسة حقيقة مهمة وهي أن درجات الحرمان والاضطهاد التي تمر بهؤلاء الأطفال لن تؤدي إلا إلى النقمة على المجتمع وفقدان الثقة في الآخرين.

وتبين الدراسة أن التحولات المجتمعية التي شهدها المغرب خلال العقدين الآخرين، أسهمت في إفراز ظاهرة أطفال الشوارع التي منها الهجرة من الريف إلى المدن، وانتشار أحزمة الفقر من منازل الصفيح والسكن العشوائي. والملاحظ أن ظاهرة أطفال الشوارع

في المغرب هي ظاهرة ذكورية في الأساس بحكم الاستقطاب المبكر والفوري للفتيات المتشردات إما عن طريق شبكات البغاء أو عن طريق التشغيل في البيوت كخادمات في أحسن الأحوال.

ومن المخاطر التي يتعرض لها أطفال الشوارع، التعاطي المبكر للتدخين والمخدرات غير المصنفة حيث تصل إلى درجة الإدمان فيما بينهم.. وقد تصل نسبة من يستعملون مادة "لصاق السلسيون" إلى ٦٥٪، ونسبة المدخنين منهم إلى ١٨٪ منذ عمر ٦ سنوات، وأن ٥٪ منهم يتعاطون الخمر كلما سمحت لهم الظروف بذلك.

أظهرت الدراسات التي أجرتها مديرية الدفاع الاجتماعي في وزارة التنمية الاجتماعية بالمملكة الأردنية أن الأطفال المتهنين التشرد، تصل نسبتهم إلى حوالي ٦٠٪ وهم من "الغجر" الذين لم تنجح شتى الوسائل في إثناء ذويهم عن إرسالهم إلى الطرقات حيث يمثل التشرد بالنسبة لهم أسلوب حياة غير مرتبط بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشونها، وهي الفئة التي تسبب العبء الأكبر على مديرية الدفاع الاجتماعي حيث تم منح ذوي هؤلاء الأطفال قروضًا عن طريق صندوق المعونة الوطنية لإقامة مشروعات اقتصادية تحسن من أوضاعهم، ولكنهم لم يلتزموا بسداد الأقساط المستحقة عليهم ولم يقيموا المشروعات المقترحة واستمر إلقاء القبض على أطفالهم بتهمة التشرد.

ويعاني هؤلاء الأطفال من عدد كبير من المشكلات، فالطفل منهم يصل إلى الصف السادس الابتدائي وهو ما يزال يجهل القراءة والكتابة، وهم كذلك لا ينتظمون في دورات التدريب المهني التي يلحقون بها ويعيشون في أحياء مهمشة (مثل حي الدبابية في منطقة الوحدات وحي الزغاتيت وأبو جسار في منطقة الهاشمي الشمالي) وهي أحياء تفتقر إلى الخدمات الاجتماعية

ووسائل الترفيه الخاصة بالطفل ومؤسسات التدريب المهني والتوجيه الاجتماعي.

وتشير دراسات المديرية إلى أن الأطفال الطارئين على التشرد يمثلون ٤٠٪ تقريبًا من الأطفال المتشردين ويأتون أساسًا من منطقتي (مخيم الحسين وحي نزّال في عمان). وأن العوامل الرئيسية في تشردهم هي الجهل والفقر والتفكك الأسري. حيث إن أغلبيتهم من أسر كبيرة الحجم بمتوسط عشرة أفراد للأسرة الواحدة. يعيشون في أماكن عشوائية. وقد يكون الوالدان عاطلين عن العمل أو غير قادرين على الوفاء بشروط صندوق المعونة الوطنية فيتم إرسال الأولاد للبيع أو التسول في الطرقات وبالذات في فترة عطل المدارس الصيفية. وقد يتعرض الطفل للعقاب إذا لم يتمكن من توفير مبلغ معين من المال يوميًا. وأحيانًا يكون الطرد من المنزل هو العقاب لمدة لا تزيد على ليلة للنوم في الحوش أو لدى أحد الأقارب.. وهناك حالات لبعض الآباء غير المعوزين الذين يرسلون أبناءهم للبيع في الطرقات في فترة العطلة ظنًا منهم أن هذا يصقل شخصية أطفالهم.

أطفال الشوارع في مصر نواة كبيرة لمافيا ما زالت في طور التكوين تتربى على مخلفات الشوارع وتتسلح بقيم البلطجة والإرهاب والإدمان لمواجهة مجتمع قذف بأكثر من مليوني طفل في الشوارع بلا رحمة.. وتتضارب الأرقام حول تعدد أطفال الشوارع.. فهناك بعض الدراسات تشير إلى أن عددهم بلغ ٢٠٠ ألف طفل على مستوى مصر.. أما الأرقام الأخرى والأقرب للصحة حسب تصريحات كبار المسؤلين بالمركز الديموجرافي الذين لم يفصحوا عن أسمائهم فهي تتراوح ما بين ١.٥ إلى ٢ مليون طفل مشرد على المستوى القطري..

والمشكلة أن كل فتيات الشوارع يرفضن العودة إلى منازلهن بعد هروبهن خاصة إذا تعرضت الفتاة للاعتداء الجنسي أو وقعت تحت سيطرة إدمان المخدرات وما شابهها وقد تبين من دراسات حالة أطفال الشوارع أن ٤٠٪ منهم لم يدخلوا المدرسة على الإطلاق. وأن معظمهم يميل إلى العنف منذ طفولته ولديه الاستعداد النفسي للإجرام. وأن ٧٠٪ منهم متمرد بطبيعته على ظروفه الاجتماعية والاقتصادية. وغير قادر على ممارسة أي عمل بدني. لذلك غالبًا ما يلجأون إلى التسول وتجارة المخدرات والسرقة.

المنتحرون البيض!!

أكد تقرير حديث لمنظمة الصحة العالمية أن هناك مليون حالة انتحار في العالم سنويًا من بين عشرة ملايين محاولة. وجميع الدول العشر التي تتصدر قائمة حالات الانتحار من دول الاتحاد السوفياتي السابق. وتتقدمها روسيا. حيث يعاني العديد من سكانها من تغيرات اقتصادية واجتماعية هائلة. ثم تأتي دول أوروبا وأمريكا التي تكثر فيها حالات الانتحار.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية. نشرت السلطات مؤخرًا تقريرًا يحدد أنجح السبل لمواجهة ظاهرة الانتحار المتفشية في البلاد والتي تهدد الاستقرار الاجتماعي. ودعا التقرير الجماعات الدينية والمذيعين والأطباء والمحامين إلى المساهمة في محاربة هذه الظاهرة. وعدم التحفظ عند الحديث عنها. حيث تعد حالة مرضية يجب أن تعالج. كما دعا إلى وضع قواعد مشتركة لدى المستشفيات ومراكز الشرطة وسلطات التحقيق في الوفيات في جميع أنحاء الولايات المتحدة. لتحديد حالات الانتحار. واقترح بعض خبراء التحقيق استخدام مصطلحات خاصة بالانتحار في المستشفيات. ودرج الأطباء ومحققو الوفيات على اسبعاد الانتحار في كثير من حالات الوفاة من أجل تخفيف ألم أسر الضحايا ومواساتهم.

ويعتبر الانتحار أحد ثمانية أسباب رئيسية للوفاة. ويحصد نحو

٣٠ ألف أمريكي كل عام في حين يصل عدد الذين يحاولون الانتحار سنويًا الى ٥٠٠ ألف شخص.

في تايوان أكدت وزارة الصحة أن معدل انتحار التايوانيين قد ارتفع عام ٢٠٠٤ بمعدل ١٠ أشخاص يوميًا ووفقًا للوزارة فإن عدد المنتحرين للعام ٢٠٠٤ بلغ حوالى ٣ آلاف شخصًا. ويعزو الأخصائيون الاجتماعيون ذلك إلى ضغوط العمل وازدياد نسبة البطالة.

ويشير التقرير إلى أن المشاكل العقلية والعصبية التي تؤدي إلى انفصام الشخصية لدى نحو ٤٥ مليون شخص في العالم، تتساوى في أهميتها في البلدان الفقيرة والغنية.

يعد الاكتئاب من المسببات الرئيسية للانتحار، حيث إن ١٥٪ من المصابين ينتهي بهم الأمر إلى الانتحار، كما أثبتت الدراسات أن ٥٠٪ من المنتحرين، تم تشخيص حالةاكتئاب لديهم في وقت من الأوقات.

ينتشر الاكتئاب في العالم بشكل واسع. فقد ذكرت منظمة الصحة العالمية أن الاضطرابات العقلية والعصبية كالاكتئاب والتشنج وأمراض الشيخوخة تصيب حوالي نصف مليار شخص في العالم، وهذا الرقم في طريقه إلى الزيادة بوضوح خلال العقدين القادمين.

وتوقعت المنظمة التابعة للأمم المتحدة أن يقفز الاكتئاب بحلول عام ٢٠٢٠م ليحتل المرتبة الثانية بين أهم أسباب الوفاة والإعاقة في جميع أنحاء العالم بعد أمراض القلب، ومعروف أن الاكتئاب يحتل اليوم المرتبة الخامسة بين المسببات العظمى للوفاة والإعاقة.

وتؤكد المنظمة أن معظم ضحايا الاكتئاب من الأمريكيين وسكان مناطق غرب المحيط الهادئ واليابان، وأن أقل نسبة للإصابة به توجد في دول أفريقيا.

الجرذان الصغيرة!!

قال أحد القادة السياسيين في مقابلة إذاعية قبل اندلاع أعمال العنف في رواندا: "لكي تتمكن من قتل الجرذان الكبيرة، عليك أن تقتل الجرذان الصغيرة أولاً". وبالفعل قتلت الأحداث الحربية آلاف الأطفال في رواندا، وآلاف الأطفال في البوسنة على أيدي الصرب المجرمين ضمن مخطط إرهابي للتطهير العرقي، وبلغ التوحش بالجنود الصرب، أنهم كانوا يقطعون رؤوس الأطفال ويلعبون بها مثل كرة القدم. هذا شيء قليل من كثير فهناك أكثر من ثلاثين ساحة حرب تستخدم الأطفال كوقود عاهر في العالم، معظمها في آسيا وأفريقيا.

في أوغندا على سبيل المثال، يستخدم جيش المقاومة الوطني حوالى ٣،٠٠٠ طفل، معظمهم دون السادسة عشرة، بمن فيهم ٥٠٠ فتاة، فقدوا أحد الأبوين وصاروا ينظرون إلى الجيش كبديل لوالديهم.

وفي بعض الحالات تكون عملية تجنيد الأطفال إجبارية، كما كان الحال في ليبيريا، حيث كان الأطفال يشكلون ربع عدد المقاتلين من جميع الأطراف المتحاربة، أو نحو ٢٠،٠٠٠ طفل. وما تجدر الإشارة إليه أن جبهة التحرير الوطني في ليبيريا شكلت وحدة خاصة من المقاتلين الذين في سن المراهقة تتراوح أعمارهم بين ٦-٢٠

عامًا. وفي المناطق التي تسيطر عليها حركة الجيش الشعبي لتحرير السودان في جنوب السودان، قام جون قرنق زعيم الحركة باستخدام أعداد كبيرة من الأطفال في تقديم خدمات لوجستية لجنوده كحمل صناديق الذخيرة وتوزيع الإمدادات الغذائية. وفي منطقة البحيرات العظمى التي شهدت قتالاً طاحنًا بين عدة مجموعات عرقية من بينها التوتسى والهوتو، تم تجنيد وتسليح كثير من الأطفال في سن ١٠-١١.

وفي بورما، وبعد عقود من المواجهات المسلحة مع الأقليات المطالبة بالحكم الذاتي، تمكنت قوات المجلس العسكري للدولة، من استعادة القانون والنظام والسيطرة على الموقف بسهولة في الولايات الانفصالية. ورغم ذلك فإن انتهاء الحرب لم يجلب السلام للبلاد. فالناشئون (المراهقون) يجبرون على العمل كحمالين يحملون الشحنات الثقيلة من الذخائر والأغذية، وتزداد زنة الحمولة بتقدم السن. وحتى في المناطق البعيدة عن القتال، فإن الحكومة البورمية تجبر الأسر على إرسال أطفالها (رغم أن بعضهم لم يتجاوز الثامنة) لبناء طرق وسكك حديد.

وغالبًا ما تستهدف الجماعات المسلحة الناشئين في حملاتهم الدعائية. ففي سريلانكا مثلاً، كانت حركة نمور التحرير لإقليم تأميل عيلام، نشطة من حيث التعليم والتدريب، حيث عقدت دورات تدريبية عسكرية في المدارس. وهناك مدرسة واحدة - على الأقل - في إقليم تأميل عيلام توجد بها ساحة للعب، تنصب فيها ألعاب البنادق على الأراجيح. كما أن مخيمات اللاجئين تعتبر مناطق عسكرية وأرضًا خصبة لتجنيد الأطفال في الجيش.

وقد اتبعت قوات رينامو في موزمبيق بشكل خاص، نهجًا منظمًا للتجنيد الإجباري للأطفال، حيث يبلغ عدد الجنود الأولاد نحو ١٠,٠٠٠

ولد على الأقل، بعضهم في السادسة من العمر. وبالمثل، فقد أظهر مسح جرى عام ١٩٩٥م، أن ٣٦٪ من الأطفال رافقوا الجنود أو قدموا دعمًا لوجستيًا لهم، وأن ٧٪ من أطفال أنغولا أطلقوا النار على الناس.

الأطفال مشاهدون أحياء أموات!!

يرى أكثر المهتمين بشؤون الأسرة أن للتلفزيون دورًا كبيرًا في هبوط المستوى اللغوي والتحصيل الدراسي للأطفال وزيادة السلوكيات العدوانية لديهم فضلاً عن الانغلاق والتحكم الكامل بحياة الأسرة. ويتركز القلق بهذا الشأن على نوعية البرامج التي يشاهدها الأطفال وما تحمله من عنف وسخافة ولكن المتخصصة في الكتابة عن الأطفال والأسرة "ماري واين" ترى أن التركيز على محتويات البرامج التلفزيونية أدى إلى تجاهل التأثير الأعمق للمشاهدة التلفزيونية بحد ذاتها على نمو الطفل وأساليب التربية وحياة الأسر ككل.

فالأسر اليوم تشاهد التلفزيون بزيادة ساعة كل يوم تقريبًا (أي أكثر من سبع ساعات طبقًا لاستطلاع أخير) ويشكل الأطفال الذين لم يبلغوا سن الدخول إلى المدرسة. الشريحة الأوسع بين المشاهدَة للتلفزيون. وتدل بعض الدراسات على أن أوقات المشاهدة تصل إلى ٥٤ ساعة أسبوعيًا! إذًا فإن جوهر التجربة التلفزيونية ذاته بصرف النظر عن مضامين البرامج هو الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار. وتركز الكاتبة على مدى تأثير مثل هذه الحصة الكبيرة من الساعات يوميًا على الطفل النامي الحساس المنشغل بهذه التجربة الخاصة وعلى مدى تأثيرها في تنمية لغته على سبيل

المثال أو تطور الخيال والإبداع لديه.

ومن خلال أمثلة حية تبرز لنا الكاتبة سلبيات هذه المشاهدة ومنها اضمحلال فرص تحقيق علاقات أسرية تمكن الأطفال من فهم أنفسهم، إذ يقضي الأطفال معظم أوقاتهم أمام الجهاز، مما يعزز تبعيتهم ويقلص بالتالي تنمية طاقتهم على التوجيه الذاتي حتى يحرروا أنفسهم من التبعية. وفي حين يحتاج الطفل إلى اكتساب مهارات الاتصال الأساسية كالقراءة والكتابة والتعبير فإن التجربة التلفزيونية تأتي لتمنع النمو اللفظي لأنها لا تتطلب أية مشاركة لفظية من جانب الطفل بل على العكس تتطلب الاستقبال السلبي وحده وتحدّ من اندماج الطفل في كافة الأنشطة الواقعية التي قد تتيح لقدراته فرصة حقيقية للاختبار.

ويدافع بعض الدارسين عن التلفزيون معللين ذلك بأنه يشبع حاجة الأطفال إلى الخيال عن طريق القصص الخيالية. كما يعرضهم للغة الكبار ويعطيهم فرصًا لرؤية أشياء كثيرة ومن هنا دعوتهم إلى تحسين نوعية الأعمال المعروضة وملئها بتجارب رائعة يمكن للأطفال مقارنتها بتجاربهم الخاصة. وعلى العكس فإن الكاتبة بري أن الأطفال بحاجة إلى إكمال نمو عقلهم عن طريق الحواس وليس بمجرد المشاهدة السلبية. فبعد أربع وخمسين ساعة أسبوعيًا ماذا يبقى لطفل ما قبل سنّ الدراسة؟ وأية تجارب خاصة تلك التي يمكن أن تكون لديه وهو يمضي معظم ساعات يقظته في مشاهدة التلفزيون؟ وسوف يكون إذًا علينا أن نملأ الشاشة بصور أطفال يشاهدون التلفزيون!".

والواقع أن للإنسان الراشد رصيدًا كبيرًا من التجارب الحياتية التي تستطيع كبديل عن مشاهدة التلفزيون، أن تحوّل المادة التي يتلقاها إلى شيء يعكس حاجاته الداخلية الخاصة. أما تجارب

الأطفال الصغار الحياتية فمحدودة. وبالتالي فإن أنشطتهم الحياتية الواقعية اللاحقة ستحرك ذكريات التجارب التلفزيونية وليس العكس. كما هي الحال مع الراشدين. مما يجرد حياة الأطفال من صفاتها الإنسانية مضفيًا عليها الطابع الآلي. وفي حين يعتقد بعض الباحثين أن الأطفال أثناء المشاهدة يمضون الوقت في وضع الفرضيات وربط الأحداث بحياتهم الخاصة.

تؤكد "ماري واين" أن الآباء يلاحظون أن أبناءهم يشاهدون التلفزيون وهم في غياب حقيقي عن الوعي. إذًا فالطفل ينغلق على ما يحدث في الشاشة. ويصف الأهل حالة "الغشية" التي تسيطر على أطفالهم أثناء المشاهدة التلفزيونية إذ "يرتخي الفك ويتدلى مفتوحًا إلى حد ما. ويستقر اللسان فوق الأسنان الأمامية وتغشى العينين نظرة زجاجية بلا معنى".

ويرى بعض الأطباء أن حالة الغشية هذه. تشبه حالة الأطفال الرضع إذا ما عرضوا لضوء ساطع. فهذا الطفل يملك آلية عجيبة كوسيلة إغلاق يتعامل بها مع المثيرات المزعجة ويمكنه أن يتخلص منها ويدخل في حالة تشبه السبات ولكننا إذا استطعنا أن نتخيل مقدار الطاقة التي ينفقها الطفل الرضيع حديث الولادة. في تحقيق هذا النوع من الإغلاق - وهي طاقة يمكنه استخدامها بطريقة أفضل - لاستطعنا أن نرى كم تصبح هذه الآلية غالية. والتلفزيون تمامًا كضوء غرفة عمليات يخلق وسطًا يتهجم على الطفل ويغلبه على أمره ويستطيع الطفل أن يرد عليه فقط حين يستدعي آلية الإغلاق عنده للعمل. وحينها يصبح أكثر سلبية. هنا نتكلم عن الأطفال المغيّبين وبالمثل فإن الأطباء النفسيين يعتقدون أن سرعة الإثارة في بعض البرامج ربما أسهمت في السلوك الهائج لدى أطفال اليوم الذين لم يؤهلوا من حيث النمو للتعامل مع

الإثارة الإلكترونية سريعة الخطى.

إذًا فمن الواضح أن الأطفال يبدون غائبين عن الوعي في أثناء المشاهدة للتلفزيون "كمشاهدين أحياءً - أموات" مما يعكس حالة الذهول التي تمتلك الطفل ومن المستبعد أن يكون سبب ذلك تركيزًا ذهنيًا قويًا بل على العكس حالة عقلية سلبية وقابلية للتأثر تفوق ما يحدث للطفل بصورة طبيعية. إن أيًا من الوالدين يشاهد خلال تنشئة الطفل ومنذ مولده تعاقبًا أخاذًا من السلبية التامة إلى قابلية التأثر إلى الفاعلية والممارسة الناجحة.

إذ لا يمكن أن يكون هناك ما هو أكثر سلبية من الرضيع حديث الولادة الذي يتصل وجوده الكامل بالتلقي. والتجربة التلفزيونية في حياة الطفل تبدو كأنها عودة واضحة إلى طريقة العمل السلبي وهكذا فإن سلوك الأطفال يظهر تدهورًا بمجرد الانتهاء من مشاهدة التلفزيون ويؤكد معظم الآباء أن قدرًا من حدة الطبع أو إساءة السلوك كثيرًا ما يظهر في تلك الأوقات فهم عقب المشاهدة مباشرة "متذمرون ونزقون". "غاضبون ومخدرون" إن حدة الطبع التي تعقب المشاهدة إشارة مهمة للآباء فسلوك الطفل الصغير برغم كل شيء هو أثمن مصدر للمعلومات لديهم عن حالة الطفل الذهنية والانفعالية والبدنية.

"حين لا يتبع سلوك الطفل، القواعد المعتادة والبسيطة للعلة والمعلول، كما يفهمها أي من الوالدين، يكون للقلق ما يبرره".

وتثير حدة الطبع التي تعقب المشاهدة التلفزيونية سؤالاً مهمًا ومعلقًا: فما هي، إذن، الحالة الشعورية للطفل أثناء مشاهدة التلفزيون؟ من الواضح أنها ليست النوم، فهل هي شيء آخر غير اليقظة؟ إذا كان في الإمكان أن تصبح المشاهدة التلفزيونية "رحلة" فهي إذن مثل تجربة المخدر يمكن أن تصبح إدمانًا أيضًا.

فالطفل "لا يشعر بأنه في حالة طبيعية" إن لم يشاهد التلفزيون ولا تختلف التجربة التلفزيونية عن المخدرات أو الكحول فهي تتيح للمشارك محو العالم الحقيقي والدخول في حالة عقلية سلبية وسارّة. وهكذا فإن التلفزيون يصبح أمرًا "لا يقاوم" وتصبح حياة الذين يشاهدون التلفزيون حياة غير متوازنة فهم يعيشون في نمط "مسيطر" إذا جاز التعبير غير آبهين بالأنشطة المؤدية إلى النماء أو التطور أو الإحساس بالإنجاز. فعادة مشاهدة التلفزيون تشوه معنى الوقت وتجعل التجارب الأخرى غامضة ووهمية بينما تكتسب لنفسها حقيقة أكبر. وبالمقابل فإن الذين يشاهدون التلفزيون بغزارة لا يشعرون بالإشباع أبدًا من وراء تجاربهم التلفزيونية فهي لا تمنحهم القوت الحقيقي الذي يتطلبه الإشباع وهكذا يجدون أنه لا يمكنهم الإقلاع عن المشاهدة.

زمن قذائف (دي يو) إلى أين؟!

ظل "مرض حرب الخليج"، الذي ظهرت أعراضه على مئات الجنود الأمريكيين ممن شاركوا في حرب تحرير الكويت، لغزًا محيرًا تتناقض حوله التقارير الطبية مع تقارير البنتاجون. فقد استمرت وزارة الدفاع الأمريكية لمدة أربع سنوات تنفي وجود ما يسمى بمرض حرب الخليج، لكنها عادت واعترفت بوجود شيء من هذا القبيل، وأرجعت المرض إلى تفجير بعض الأسلحة الكيميائية العراقية في مسرح العمليات الكويتي. وقد طلب البنتاجون من أكثر من ٢٠ ألف جندي أمريكي شاركوا في حرب "عاصفة الصحراء" التوجه إلى المستشفيات المختصة للتأكد من خلو أجسامهم من أعراض ناجمة عن إمكانية تعرضهم لتفجير تلك الأسلحة الكيماوية. لكن ذلك لم يكشف اللثام عن سر ذلك المرض اللعين. وظل السؤال المحيّر: لماذا أصيب الجنود الأمريكيون فقط بأعراض تفجير الأسلحة الكيماوية العراقية، في الوقت الذي كانت تتمركز في منطقة التفجيرات قوات تابعة لدول أخرى من أعضاء التحالف الدولي المناوئ للعراق في تلك الحرب.

في الآونة الأخيرة ظهر تقرير يكشف اللثام عن حقيقة ذلك المرض، إلا أن البنتاغون تجاهل التقرير الذي أعده "معهد نيشن" وهو مؤسسة أبحاث أمريكية عسكرية خاصة.

يقول التقرير: إن الأعراض التي يعاني منها الجنود الأمريكيون من حرب الخليج ربما لا ترجع إلى تعرضهم إلى سحب الدخان والغيوم الناجمة عن تفجير مواقع الأسلحة الكيميائية العراقية - كما تقول رواية البنتاغون - بل بسبب تعرضهم لسلاح أمريكي يحاول الأمريكيون إخفاءه أو التقليل من أثره في "مرض حرب الخليج". وإذا اعترف البنتاغون بتحليل "معهد نيشن" فإن الحكومة الفيدرالية الأمريكية وليس أي طرف آخر هي التي ستتكفل بدفع التعويضات للجنود المصابين بداء حرب الخليج، التي يتوقع أن تصل إلى عشرات المليارات من الدولارات.

يقول التقرير الذي أعده الخبير العسكري بيل ميزلر: "إن القوات الأمريكية استخدمت في حرب الخليج قذائف تسمى "دي يو" ضد الدبابات العراقية، وأن آثار تلك القذيفة شوهدت على نصف المدرعات والآليات العراقية، التي أعطبت خلال الحرب، بما يعني أن تلك القذائف بكثافة. ويخلص التقرير إلى أن تلك القذائف تتسبب في الإصابة بسرطان الرئة وسرطان العظام وسرطان الكلى، فضلاً عن أعراض أخرى مشابهة لتلك التي يشكو منها مصابو "مرض حرب الخليج" وهي الإرهاق والإسهال وفقدان الذاكرة التدريجي والرُّعاف والبراز المدمّم.

ويضيف ميزلر: كانت القذيفة تصدر إشعاعات نووية بمستويات خفيفة، لكنها قادرة على إيذاء البشر حتى دون أن تنفجر، أو تتضاعف آثارها عند تفجيرها، إذ تصدر عنها أدخنة سامة تحمل إشعاعات مضرّة، إذا استنشقها الإنسان. وتبقى حبيسة لفترة طويلة في رئتيه، ثم تنتشر إلى أجزاء أخرى من جسمه فتسبب الأمراض والأعراض السابقة الذكر.

ويعترف المسؤولون في البنتاغون أنهم استخدموا هذه القذائف

في حرب الخليج. لكنهم ينفون أنها تسببت في أية أعراض غير عادية. ويشير ميزلر إلى أن البنتاغون لم يعترف حتى الآن بحادثة مهمة وقعت في منطقة الحدود العراقية الكويتية قرب نهاية حرب الخليج. عندما وقع انفجار في شاحنة عسكرية أمريكية كانت تحمل ٤٠ طنًا من قذيفة "دي يو" وانطلقت من جراء ذلك سحابة داكنة في منطقة كانت فيها قوات أمريكية تزيد عن ١٠٠ ألف عسكري. ويقول ميزلر: إن هذا الانفجار الهائل. مع سحابة الدخان الناجمة عنه وما حملته من أبخرة ومواد سامة. يمكن أن يكون قد أصاب هذا الرقم الكبير من الجنود الأمريكيين.

كما كشف تقرير ميزلر أن النيران الصديقة تسببت في إصابة ٢١ جنديًا أمريكيًا بقذائف "دي يو". وما زالت أجسامهم تحمل حتى الآن شظايا هذه القذيفة. كما تعرَّض عدد غير معروف من الجنود الأمريكيين لتأثير قذيفة "دي يو". بعد أن طُلب منهم إصلاح عربات عسكرية أمريكية كانت قد أصيبت عن طريق الخطأ بتلك القذائف. ولم يبلّغ هؤلاء الجنود بالآثار المحتملة على صحتهم. لأنهم لم يعرفوا أصلاً أن تلك العربات أصيبت بقذائف "دي يو". وقد قام البنتاغون - كما يقول التقرير - بدفن تلك العربات بعد ذلك في أماكن مخصصة لدفن النفايات النووية. وهذا يؤكد علم البنتاغون بخطورة تلك القذائف.

وأخيرًا كشف التقرير أن الولايات المتحدة الأمريكية باعت قذائف "دي يو" لعدد من الجيوش الأجنبية. منها إسرائيل. وتايلند وتركيا وباكستان وتايوان واليونان وكوريا الجنوبية.

الشيء المحيّر هو عدم الإفصاح عن مثل هذه التعقيدات في حرب احتلال العراق لاسيما وأن الجيش الأمريكي قد استعمل أسلحة جديدة هي الأكثر فتكًا في تاريخ الحروب قاطبة.

بعد زيارة الرئيس بوش السرية لبغداد تخشى الاستخبارات الأمريكية من وصول آثار دي يو لرأس الحرب من القادة العسكريين والسياسيين. والمستقبل وحده يكشف الأسرار...